تعدد احتمال تمام جملة مقول القول

دراسة سياقية في تذييل جملة المقول

د. علي رمضان البيومي

أستاذ مساعد النحو والصرف والعروض

كلية دار العلوم - جامعة الفيوم

تعدد احتمال تمام جملة مقول القول دراسة سياقية في تذييل جملة المقول

علي رمضان البيومي

أستاذ مساعد، النحو والصرف والعروض، كلية دار العلوم، جامعة الفيوم، مصر.

البريد الإلكتروني: arb00@fayoum.edu.e

ملخص البحث

تدور مادة هذا البحث حول اتصال الكلام وانقطاعه في القرآن الكريم في تذييل جملة مقول القول، إن هذا البحث يعتمد المنهج الوصفي التحليلي لدراسة هذه الجزئية من خلال دراسة السياق القرآني ومتشابه القرآن في طريقة تذييل جملة مقول القول، وما يترتب على ذلك من تغييرات نحوية ودلالية، ومفارقات نظمية، فحيثما كان للمتكلم جملتان انتفى التمام، ووجب اتصال الكلام، وحيثما كان للمتكلم جملة واحدة نُسبت إليه ووجب التمام واستُؤنفت جملة الحاكي بعده، فلو قلتُ مثلا: يقول الناس: إنَّ الظلمَ بؤسٌ وظلمُ النَّاس مرتعُه وخيمٌ، وسيرى الظالمون لمن تكون عاقبةُ الأمور. فإنَّ جملة (وسيرى الظالمون) تحتمل أن تكون من جملة المقول، فهي معطوفة على (إنَّ الظلمَ بؤسٌ) والكلام متصل والتمام منتف، ويحتمل أن تكون من تذييل الحاكي نفسه، استئناف جديد داعم لجملة كلام الناس المتقدم، ومؤكِّد له، ويكون التمام عند (مرتعُه وخيمٌ)، ومنه في القرآن قوله:﴿ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴾ {آل عمران: ٣٧ }، فقوله:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴾ يحتمل أن يكون من مقول مريم عليها السلام، تذييل لكلامها، ويحتمل أن يكون تذييلا من كلام الله تعالى، استئناف مؤكد لكلامها، والتمام قبله. فموضوع هذا البحث إذن يرتبط بالقضايا الثلاث الآتية:

(١) الاتصال والانقطاع والوقف والابتداء.

(٢) محل الجمل وعدمه.

(٣) نسبة الكلام لقائل دون آخر.

الكلمات المفتاحية: التمام/ الوقف/ الابتداء/ التذييل/ مقول القول

The potential multiplicity of complete direct-speech relatedness: A stylistic approach to comments complementary to direct speech

Ali Ramadan Al-Bayoumi
Assistant Professor, Grammar, Morphology and Presentation, Faculty of Dar Al Uloom, Fayoum University, Egypt.
Email: arb00@fayoum.edu.e

Abstract: This article examines (complete) relatedness and nonrelatedness of (direct) speech in the Qur'an when making comments complementary to direct speech. It employs the analytical descriptive method to explore this issue by investigating the Qur'an's contextual and ambiguous ways of making comments complementary to direct speech and the syntactic, semantic and paradoxical repercussions they precipitate. Whenever a speaker utters two (interrupted) sentences, complete relatedness is not achieved and the speech must be resumed. Whenever a speaker utters one sentence, it is ascribed to him, complete relatedness is achieved and the narratorial comment is resumed afterwards. For example, if you say: "People say: 'Oppression is a calamity and injustice to people is its nidus and nest, and oppressors would see whom the (bad) consequences would befall.'", the utterance 'oppressors would see' may be part of the direct speech, being coordinated to the utterance 'Oppression is a calamity' and thus the speech is continued but the complete relatedness is not achieved. The same utterance may be a narratorial comment supporting and confirming the preceding direct speech of people, and thus completed relatedness ends with 'its nidus and nest'. A similar case from the Qur'an reads: "Whenever Zachariah came in to (see) her in her sanctuary, he found provisions therein. He asked, 'Mary, from where have you got such provisions?' She replied, 'They are from God; God provides for whomever He will unexpectedly boundlessly.'" The direct speech 'God provides for whomever He will unexpectedly boundlessly.' may be ascribed to Mary as a complementary speech or to God as a narratorial comment asserting her words, and the complete relatedness is achieved before that. The objective of this study is trifold:
(1) relatedness and nonrelatedness as well as pause and resumption;
(2) parsability and non-parsability of sentences; and
(3) ascription of speech to a speaker rather than another.

Key words: complete / endowment / initiation / appendix / sayings

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه، وبعد؛

فإنَّ الاتصال والانقطاع في القرآن الكريم علمٌ قائمٌ على الاجتهاد وإدامة الفكر وإنعام النظر وترصد المعاني الصحيحة والدلالات المرادة من الله تعالى، وإنما اكتسب الاتصال والانقطاع أهميته الكبيرة؛ لأنَّ "ضبط الوقوف مقدمة لما يُفاد من المعاني"(١)، والدلالات، فإن صح الضبط صحت الدلالات، وقد دُرس هذا العلم في القديم والحديث كثيرا تحت مسميات كثيرة، وأُعدت له دراسات عديدة وبحوث مستقلة، تتحدث في مجملها عن الكلام المتصل والكلام المنقطع، وأنواع الوقوف وعلاقاتها بالمعنى، وضبط الدلالات عن طريق ضبط الوقوف، وقد اختلفت طرق التناول والبحث والمعالجة فيها جميعا تبعا لاختلاف المشارب والاتجاهات، ومناهج البحث والدراسة، لكن هذا البحث يتفرد بدراسة دقيقة حول احتمالية اتصال الكلام وانقطاعه في تذييل جملة مقول القول، تلك الجزئية الدقيقة التي لم تفرد ببحث مستقل، وإنما توزعت أشتاتها متفرقات في كتب التفسير والقطع والائتناف، فكان هذا البحث الذي يعتمد دراسة هذه الجزئية من خلال دراسة السياق القرآني ومتشابه القرآن في طريقة تذييل جملة مقول القول، وما يترتب على ذلك من تغييرات نحوية ودلالية، ومفارقات نظمية، وهو ما سميناه بتعدد احتمالات تمام جملة مقول القول، فحيثما كان للمتكلم جملتان انتفى التمام، ووجب اتصال الكلام، وحيثما كان للمتكلم جملة واحدة نُسبت إليه ووجب التمام واستُؤنفت جملة الحاكي بعده، فلو قلتُ مثلا: يقول الناس: إنَّ الظلمَ بؤسٌ وظلمُ النَّاس مرتعُه وخيمٌ، وسيرى الظالمون لمن تكون عاقبةُ الأمور. فإنَّ جملة (وسيرى الظالمون) تحتمل أن تكون من جملة المقول، فهي معطوفة على (إنَّ الظلمَ بؤسٌ) والكلام

---

(١) الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم، للدكتور/ عبد الكريم إبراهيم عوض، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ص٦٧

متصل والتمام منتف، ويحتمل أن تكون من تذييل الحاكي نفسه، استئناف جديد داعم لجملة كلام الناس المتقدم، ومؤكِّد له، ويكون التمام عند (مرتعُه وخيمٌ)، ومنه في القرآن قوله: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ {آل عمران: ٣٧}، فقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ يحتمل أن يكون من مقول مريم عليها السلام، تذييل لكلامها، ويحتمل أن يكون تذييلا من كلام الله تعالى، استئناف مؤكد لكلامها، والتمام قبله. يقول السمين:"يحتمل أن يكون مستأنفا من كلام الله تعالى، وأن يكون من كلام مريم فيكون منصوبا"[1]. إنَّ الفصل والوصل والمناسبة بين الجمل

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت:٧٥٦هـ)، تحقيق الدكتور/ أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ١٤٧/٣، وانظر أيضا: تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت:٣١٠هـ)، تحقيق الدكتور/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م، ٣٥٩/٥، والمحرر الوجيز، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت:٥٤٦هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م، ٤٢٧/١، والجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت:٦٧١هـ)، تحقيق/ هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، ٧٢/٤، وتفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي (ت:٦٩١هـ)، تحقيق محمد بن عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٥/٢، والبحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت:٧٤٥هـ)، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م، ٤٦٢/٢، وتفسير الثعالبي، المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن، للإمام عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي المالكي (ت:٨٧٥هـ)، تحقيق الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١،=

والتراكيب قد تحتاج فى بعض الأوقات إلى دقة وتمحيص متناهيين، ولذلك بيَّن السيوطي أنَّ الترتيب بين التراكيب في القرآن الكريم له أسباب، ثم ذكر من هذه الأسباب التنظير والتضاد والاستطراد، فقد يذكر الله تعالى الجملة بعد الجملة إلحاقا للنظير بالنظير، أو إلحاقا للضد بالضد، أو استطرادا وحسن تخلص[١]، والذي يخص هذا البحث هو الاستطراد وحسن التخلص، وهما "لا يكادان يفترقان"[٢]، وتعريفهما:" أن يَنتقل مما ابتدئ به الكلامُ إلى المقصود على وجه سهل يختلسه اختلاسا دقيقَ المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع عليه الثاني لشدة الالتئام بينهما"[٣]، وفرق بعض الأئمة بينهما، فقال:" الفرق بين التخلص والاستطراد أنك في التخلص تركت ما كنت فيه بالكلية وأقبلت على ما تخلصت إليه وفي الاستطراد تمر بذكر الأمر الذي استطردت إليه مرورا كالبرق الخاطف ثم تتركه وتعود إلى ما كنت فيه كأنك لم تقصده وإنما عرض عروضا"[٤]، فإن ذُيلت الآية بكلام الله ثم عاد لما كان فيه فهو استطراد، وإن اكتفى بالتذييل ولم يعد فيما ابتدأ به فهو حسن

=١٤١٨ ـ ١٩٩٧م، ٣٧/٢، وتفسير السراج المنير، للشيخ الإمام محمد بن أحمد المعروف بالخطيب الشربيني (ت:٩٧٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٧٤/١، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت:١٢٥٠هـ)، تحقيق يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، ط٤، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م، ص١٠٣٩

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن، للحافظ أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت:٩١١هـ)، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الرياض، ١٤٢٦هـ، ص١٨٤٢، والبرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت:٧٩٤هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ٤٦/١ وما بعدها.

(٢) الإتقان ص١٨٤٣

(٣) الإتقان ص١٨٤٢

(٤) الإتقان ص١٨٤٤

تخلص، فإنْ اعتبرت تذييل الجملة في سياق مقول القول ليست تخلصا، وإنما السياق متصل في مقول القول فلا وقف فيها ولا تمام، وإن اعتبرت أنَّ بين الجملتين تخلصا، وأنَّ الأولى مقولةٌ والثانيةَ غيرُ مقولةٍ، فالوقف والتمام ثَمَّ، واستدل السيوطي على وقوع الاستطراد والتخلص بما حدث في سورة الشعراء، قال:"وفي سورة الشعراء حكى قول إبراهيم:﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾ {الشعراء: ٨٧}، فتخلص منه إلى وصف المعاد بقوله:﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾ {الشعراء: ٨٨}"[١]، فالجملة الأولى من مقول إبراهيم والثانية من مقول الله تعالى. ومن هنا نفهم قول السيوطي عن القرآن الكريم:"ففيه من التخلصات العجيبة ما يحير العقول"[٢]، ومادة هذا البحث كفيلة بيان هذه المقولة والتأكيد عليها. فموضوع هذا البحث إذن يرتبط بالقضايا الثلاث الآتية:

(٤) علاقته بالاتصال والانقطاع والوقف والابتداء.

(٥) علاقته بمحل الجمل وعدمه.

(٦) علاقته بنسبة الكلام لقائل دون آخر.

إنَّ هذا البحثَ سيبحثُ إذن عن كيفية الترتيب القرآني وطريقة نظمه في جملة مقول القول، فيعرف كيف جُعلت أجزاء الكلام بعضُها آخذٌ بأعناق بعض، وكيف صار التركيب حالُه حالُ البناء المحكم المتلائم الأجزاء[٣]، وسيبحث هذا البحث أيضا عن العلاقات بين الجمل والمناسبة بين التراكيب، بمعنى آخر: إنه سيبحث عن السبب والمسبب والعلة والمعلول، كما سيبحث عن القرائن السياقية ليرى هل السياق يدعم فكرة الاتصال أو يدعم فكرة التمام؟ بمعنى آخر هل السياق يدعم تمام الجملة هنا أو هناك؟ بمعنى ثالث البحث عن دور السياق في ترجيح معنى.

---

(١) الإتقان ص١٨٤٤

(٢) الإتقان ص١٨٤٣

(٣) انظر :الإتقان ص١٨٤٠

إنَّ السياق اللغوي هو كبرى القرائن النحوية؛ لأنه "قد يعتمد على شيء من القرائن النحوية المفردة أو يتجاوزها إلى أمور دلالية من العقل أو من المقام المحيط بالجملة"(١)، ولذلك كان هو المعينَ حين تتعدد احتمالات إتمام جملة مقول القول أو تتعدد احتمالات الوقف والابتداء فيها، ليبقى السياق هو المرجع والمآل في تحديد دلالة الجملة وتقريب وجهات النظر فيها. ومن القرائن العقلية والعقدية التي تمنع التعددية واحتمالية التمام وتلزم التركيب معنى واحدا قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ {المائدة: ٧٣}، فقوله: ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ يستحيل عقلا وعقيدة أن يكون داخلا في مقول القول أو من تمامه، فتعدد الألهة يستلزم نفي الوحدانية، وإثبات الوحدانية يستلزم نفي تعدد الألهة، والقول بهما معا تناقض، والوقوع في التناقض محال، لذا لزم التمامُ عند قوله: ﴿ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾ والوقفُ عليه.

وكثيرا ما يربط الإمام الرازي بين احتمال الاتصال واحتمال التمام بطريقة نظم القرآن الكريم، ويوجه النظم على كل وجه ممكن، فمثلا في قول الله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ {البقرة: ٢٨٥ – ٢٨٦}، يقول الرازي: "قوله: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ يحتمل أن يكون ابتداء خبر من الله، ويحتمل أن يكون حكاية عن الرسول والمؤمنين على نسق الكلام في قوله: ﴿ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ وقالوا: ﴿ لَا

(١) البيان في روائع القرآن، للدكتور/ تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ص٢١٢ بتصرف يسير

﴿يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ ويؤيد ذلك ما أردفه من قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ﴾ فكأنه تعالى حكى عنهم طريقتهم في التمسك بالإيمان والعمل الصالح وحكى عنهم في جملة ذلك أنهم وصفوا ربهم بأنه لا يكلف نفسا إلا وسعها"(١)، ثم يقول: "إنْ قلنا إن هذا من كلام المؤمنين فوجه النظم أنهم لما قالوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ فكأنهم قالوا: كيف لا نسمع ولا نطيع، وأنه تعالى لا يكلفنا إلا ما في وسعنا وطاقتنا، فإذا كان هو تعالي بحكم الرحمة الإلهية لا يطالبنا إلا بالشيء السهل الهين، فكذلك نحن بحكم العبودية وجب أن نكون سامعين مطيعين، وإن قلنا: إن هذا من كلام الله تعالى، فوجه النظم أنهم لما قالوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ ثم قالوا بعده: ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾ دل ذلك على أن قولهم: ﴿غُفْرَانَكَ﴾ طلبا للمغفرة فيما يصدر عنهم من وجوه التقصير منهم على سبيل العمد، فلما كان قولهم: ﴿غُفْرَانَكَ﴾ طلبا للمغفرة في ذلك التقصير، لا جرم خفف الله تعالى عنهم ذلك وقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ والمعنى أنكم إذا سمعتم وأطعتم، وما تعمدتم التقصير، فعند ذلك لو وقع منكم نوع تقصير على سبيل السهو والغفلة فلا تكونوا خائفين منه؛ فإن الله تعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها، وبالجملة فهذا إجابة لهم في دعائهم في قولهم ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾"(٢)، ووجه التدخل الإلهي بين أدعيتهم أن يكون "اعتراضا بين الجمل المحكية بالقول، وفائدته إظهار ثمرة الإيمان، والتسليم، والطاعة، فأعلمهم الله بأنّه لم يجعل عليهم في هذا الدين التكليفَ بما فيه مشقة"(٣)، ورغم

(١) تفسير الرازي ١٥٠/٧
(٢) تفسير الرازي ١٥٠/٧
(٣) التحرير والتنوير ١٣٤/٣

ورغم ظهور هذا الوجه فإنه لا يمنع جواز وجه الاتصال، وكونه من كلام الرسول والمؤمنين، "كأنّه تعليل لقولهم: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾"(١).

وقد اعتمد البحث على المنهج الوصفي والتحليلي، راجعا إلى آراء النحاة والمفسرين ومرجحا ما يدعمه السياق ومتشابه القرآن.

وقد عولج هذا الموضوع وترتبت مادته في خمسة مطالب على النحو الآتي:

المطلب الأول: الوقف والابتداء والتذييل لغة واصطلاحا

المطلب الثاني: تذييل الجملة بين مقول القول والاستئناف بحرف العطف

المطلب الثالث: تذييل الجملة بين مقول القول والاستئناف بغير حرف العطف

المطلب الرابع: تذييل الجملة بين مقول القول ووجوه إعرابية أخرى

المطلب الخامس: أثر القراءات القرآنية في توجيه الوقف والابتداء في تذييل جملة مقول القول

وقد تعددت الدراسات التي تعرضت لاتصال الكلام وانقطاعه أو للوقف والابتداء في القرآن الكريم قديما وحديثا، وتعرض بعضُها للتذييل عرضا في ثنايا دراسته، لكنها جميعا لم تفرد تعدد احتمال إتمام جملة مقول القول بالبحث المستقل والدراسة والمعالجة كما فعل هذا البحث، وكان من أهم الدراسات التي تعرضت للاتصال والانقطاع أو للوقف والابتداء:

إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري، والقطع والائتناف لأبي جعفر النحاس، والمكتفى في الوقف والابتدا لأبي عمرو الداني، ومنار الهدى في الوقف والابتدا للأشموني، والوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم، للدكتور/ عبد الكريم إبراهيم عوض صالح.

واللّه من وراء القصد

---

(١) التحرير والتنوير ٣/١٣٤

المطلب الأول

الوقف والابتداء والتذييل لغة واصطلاحا

وإنما اختار البحث مصطلحي الوقف والابتداء دون الاتصال والانقطاع لكثرتهما في الكلام دون غيرهما وعلاقتهما الوثيقة بتمام الجمل وانقطاعها.

الوقف لغة: يدور الوقف في اللغة حول القيام والحبس والإحاطة وفهم المعاني والمعاينة.

يقال: وَقَفَ بالمَكانِ وَقْفا، ووُقُوفا فهو واقِفٌ: دامَ قائِما، وكذا وَقَفَتِ الدّابَّةُ، والوُقُوفُ: خِلافُ الجُلُوسِ. ويقال: وَقَفَ الدَّارَ على المساكينِ: إذا حَبَّسها، ويقال: وَقَفَ القارِئُ على الكَلِمةِ وُقُوفا، وَوَقَّفَه تَوْقِيفا: عَلَّمَه مواضِعَ الوُقُوفِ، ووَقَفَ على المَعْنَى: أَحاطَ بِه، وهو مجازٌ، ووَقَفَ عليهِ: عايَنَه، وتقول: وَقَفْتُ على ما عِنْدَ فُلانٍ: تُرِيدُ قد فَهِمْتُه وتَبَيَّنْتُه، وبكلِيهما فُسِّرَ قَوْلُه تَعالَى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ {الأنعام: ٢٧}[(١)].

الوقف اصطلاحا:

عرفه أبو عمرو الداني بقوله:"هو فنٌّ جليل يعرف به كيفية أداء القراءة، بالوقف على المواضع التي نص عليها القراء، لإتمام المعاني"[(٢)]، وعرفه ابن الجزري بقوله:"الوقف: عبارة عن قطع الصوت على الكلمة زمنا يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة، إما بما يلي الحرف الموقوف عليه، أو بما قبله لا

---

(١) انظر: تاج العروس، للسيد محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بمرتضى الزبيدي (ت:١٢٠٥هـ)، تحقيق/ عبد الستار أحمد فراج ومصطفى حجازي وآخرون، سلسلة التراث العربي، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، مطبعة حكومة الكويت، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م، (و.ق.ف) ٢٤/٤٦٨ وما بعدها

(٢) المكتفى في الوقف والابتدا في كتاب الله عز وجل، للإمام المقرئ أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت:٤٤٤هـ)، تحقيق الدكتور/ يوسف عبد الرحمن المرعشلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص٤٨

بنية الإعراض، ويأتي في رءوس الآي وأوساطها ولا يأتي في وسط كلمة ولا فيما اتصل رسما، ولا بد من التنفس معه"(١)، وعرفه الأشموني بقوله:"قطع الصوت آخر الكلمة زمنا ما، أو هو قطع الكلمة عما بعدها"(٢).

الابتداء لغة:

بَدَأَ الشَّيءَ: فَعَلَه ابتِداءً أَي: قدَّمه في الفعل(٣).

الابتداء اصطلاحا:

هو "الابتداء بمواضع معينة لا تختل فيها المعاني"(٤)، أو هو"الشروع في القراءة بعد قطع أو وقف"(٥)، أو هو"معاودة القراءة بعد وقف"(٦).

التذييل لغة:

الذَّيْلُ: آخِرُ كُلِّ شَيْءٍ(٧)

---

(١) النشر في القراءات العشر، للإمام الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري (ت:٨٣٣هـ)، تحقيق الشيخ/ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، ببيروت، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ١/١٨٩، ١٩٠

(٢) منار الهدى في بيان الوقف والابتدا، لأحمد بن محمد بن عبد الكريم الأشموني (ت:٩٢٩هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، ص٨، وانظر أيضا: معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية وما يتعلق به، للدكتور/ عبد العلي المسئول، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ص٣٤٢

(٣) انظرك تاج العروس (ب.د.أ) ١/١٣٧، ١٣٨، و مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات، للدكتور/ إبراهيم بن سعيد الدوسري، دار الحضارة، الرياض، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ص١٣١

(٤) المكتفى ص٤٨

(٥) معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية وما يتعلق به ص٢٧

(٦) مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات ص١١

(٧) تاج العروس (ذ.ي.ل) ٢٩/٢٠، ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها، للدكتور/ أحمد مطلوب، المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٣هـ - ١٨٨٣م، ٢/١٢٢

التذييل اصطلاحا:

عرَّفه الزركشي بقوله:"أن يؤتى بعد تمام الكلام بكلام مستقل في معنى الأول، تحقيقا لدلالة منطوق الأول، أو مفهومه، ليكون معه كالدليل ليظهر المعنى عند من لا يفهم، ويكمل عند من فهمه، كقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواۖ ﴾ {سبأ: ١٧} ثم قال عز من قائل:﴿ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ﴾ أي: هل يجازى ذلك الجزاء الذي يستحقه الكفور إلا الكفور فإن جعلنا الجزاء عاما كان الثاني مفيدا فائدة زائدة"(١).

وعرفه السيوطي بأنه "أن يؤتى بجملة عقب جملة، والثانية تشتمل على المعنى الأول، لتأكيد منطوقه أو مفهومه ليظهر المعنى لمن لم يفهمه، ويتقرر عند من فهمه، نحو... ﴿ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴾ {الإسراء: ٨١ }"(٢)

وعرّفه ابن عاشور بأنه"تعقيب الجملة بجملة مشتملة على معناها تتنزل منزلة الحجة على مضمون الجملة، وبذلك يحصل تأكيد معنى الجملة الأولى وزيادة، فالتذييل ضرب من ضروب الإطناب من حيث يشتمل على تقرير معنى الجملة الأولى ويزيد عليه بفائدة جديدة لها تعلق بفائدة الجملة الأولى. وأبدعُه ما أُخرج مخرج الأمثال لما فيه من عُموم الحكم ووجيز اللفظ"(٣)، فالتذييل "يجب أن يكون أعم من الكلام المذيَّل"(٤)، و "أن يكون مرتبطاً بما

(١) البرهان ٦٨/٣، ٦٩، وانظر أيضا: الإتقان ص١٨٦٠، ومعجم البلاغة العربية، للدكتور/ بدوي طبانة، دار المنارة، جدة، السعودية، ط٣، ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٨م، ص٢٣٤

(٢) الإتقان ص١٨٦٦٠، وانظر أيضا: التعريفات، للعلامة علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت:٨١٦هـ)، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٥م، ص٥٧

(٣) التحرير والتنوير ٦٦٧/١

(٤) التحرير والتنوير ٢٠٢/٢، وانظره أيضا ١٨٦/٧، ١٤٥/١١، ١٢٩/١٤، ٢٩١/٢٢

قبله"(١)، فهو "يشمل المذيَّل قطعا"(٢)، أي: إنه "بمنزلة المقدمة الكبرى للمقدمة الصغرى"(٣)، فبينهما مناسبة حتما(٤)، وشرطه"الإيجاز"(٥)، وفائدته "تقرير الجملة التي قبله وزيادة"(٦)، كالتأكيد والسببية والعموم، وهو من "خصوصيات علم المعاني"(٧)، وهو "معدود من ضروب الإطناب"(٨)، فهو"الإطناب بالتذييل"(٩)، ومنه في القرآن قوله: ﴿لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ {الحديد: ٢}، فجملة ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ تذييل لما قبلها، ويقع في النثر والشعر(١٠).

وتعريف ابن عاشور السابق يشمل التذييل عامةً، ولما كان هذا البحث عن التذييل في جملة مقول القول، تمكّنَ البحث من أن يضع هنا تعريفا

---

(١) التحرير والتنوير ٢٩٨/٢

(٢) التحرير والتنوير ٢٧٨/٣

(٣) التحرير والتنوير ٣٠١/٩

(٤) انظر: التحرير والتنوير ٢٥٠/٢٥

(٥) التحرير والتنوير ٣٧٦/٢

(٦) التحرير والتنوير ٢٨/٢٤

(٧) التحرير والتنوير ٢٨٦/٢٨

(٨) معجم البلاغة العربية ص٢٣٤

(٩) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ١٢٢/٢

(١٠) يقول ابنُ حجة الحموي عند تعريفه التذييل:"هو أن يذيل الناظم أو الناثر كلامًا، بعد تمامه وحسنَ السكوت عليه، بجملة تحقق ما قبلها من الكلام، وتزيده توكيدًا وتجري مجرى المثل، بزيادة التحقيق"، ثم استشهد بقول النابغة:

ولَسْتَ بمُسْتَبْقٍ أخالً لا تَلُمُّه ... على شَعَثٍ ، أيُّ الرِّجالِ المهذَّبُ؟

فذيلَ بقوله:"أي الرجال المهذب؟" خزانة الأدب وغاية الأرب، لتقي اللدين أبي بكر بن علي بن عبد الله الحموي، المعروف بابن حجة الحموي (ت:٨٣٧هـ)، تحقيق: عصام شقيو، مكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٤م، ٢٤٢/١، وانظر أيضا: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ١٢٢/٢

يخص التذييل في جملة مقول القول، فهو "تعقيبُ الكلام المقول وتذييله بجملة تكون كالذيل له، تفيد عموم الكلام المتقدم وتقريره وتأكيده وتعليله أحيانا، تصلح من حيث التركيب والمعنى أن تكون من مقول القول المتقدم، وأن تكون من كلام الحاكي، وتتعدد صور الاتصال والانقطاع على ذلك". ومنه قوله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ {آل عمران: ١١٩}، فجملة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ تحتمل أن تكون تذييلا داخلا تحت القول، والكلام متصل، والمؤمنون مأمورون بقولها، ويحتمل أن تكون تذييلا من الله على وجه الاستئناف، وتمام الكلام الأول عند (بغيكم)، يقول ابن عجيبة:"هو من مقول الرسول لهم، أو من كلام الله تعالى، استئناف"[(١)]، وإتمام الجملة سيتعدد على الاحتمالين كما سيظهر خلال هذا البحث.

(١) البحر المديد، لأحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي (ت:١٢٢٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، ٤٩٢/١

المطلب الثاني

تذييل الجملة بين مقول القول والاستئناف بحرف العطف

(١) يقول تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ {الفرقان: ٢٧ – ٢٩}

المتفق عليه أن جملة ﴿يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ﴾ جملة كلام الظالم يوم القيامة، لكن جملة (وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا) كلام مَن؟ هل هو من جملة مقول القول أي من جملة كلام الظالم، فهو في محل نصب والوقف التام على ﴿خَذُولًا﴾، أم هو جملة استئنافية جديدة من كلام الله عز وجل فلا محل لها والوقف التام على ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى﴾؟

يرى الطبري[١] والقرطبي[٢] وابن عاشور أنّ جملة ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ من كلام الله تعالى، استئناف لا محل لها، وليست من مقول القول، وأنّ الوقف قبلها وتمام الكلام عند قوله ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى﴾، يقول ابن عاشور: "﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ تذييل من كلام الله تعالى لا من كلام الظالم، تنبيها للناس على أنّ كلّ هذا الإضلال من عمل الشيطان، فهو الذي يسوّل لخليل الظالم إضلال خليله؛ لأن الشيطان خذول الإنسان، أي مجبول على شدة خذله"[٣]

---

(١) انظر: تفسير الطبري ١٧/٤٤٢

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٣/٢٦

(٣) التحرير والتنوير، للإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التنوسية، ١٩٨٤م، ١٩/١٧، والخذل: ترك نصر المستنجِد ومعاونته مع القدرة على ذلك، والعرب تقول: خذله إذا ترك نصره مع كونه يترقب النصر منه.

ويدعم ابنُ الأنباري وأبو عمرو الداني[١] وأبو يحيى زكريا الأنصاري[٢] – الوجهَ السابق أيضا مؤكدين أنّ الوقف على قوله:﴿ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِي ﴾ وقفٌ تامٌّ معللين بأنّ قوله:﴿ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴾ من كلام الله تعالى لا من كلام الظالم، يقول ابن الأنباري:"﴿ عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِي ﴾ تام؛ لأنه من كلام الظالم إلى هذا الموضع، فقال الله تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴾"[٣]

ويرى أبو جعفر النحاس أنّ الكلام متصلٌ، وأنّ جملة ﴿ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴾ من مقول القول في محل نصب، وأنّ تمام الكلام عند﴿ خَذُولٗا ﴾[٤].

---

(١) انظر: المكتفى ص٤١٦

(٢) انظر: المقصد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتدا، لشيخ الإسلام يحيى بن زكريا الأنصاري (ت:٩٢٦هـ)، مطبوع بهامش منار الهدى في بيان الوقف والابتدا للأشموني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م، ص٢٧٤

(٣) إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، لأبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري (ت:٣٢٨هـ)، تحقيق محيي الدين عبد الرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩١هـ. ١٩٧١م، ٢/٨٠٤

(٤) انظر: القطع والائتناف، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت:٣٣٨هـ)، تحقيق الدكتور/ عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، دار عالم الكتب، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ. ١٩٩٢م، ٢/٤٨٢

وجوّز ابن عطية وابن جُزي(١) وأبو السعود[٢] والآلوسي[٣] الوجهين معا، يقول ابن عطية:"﴿وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا﴾ يحتمل أن يكون من قول الظالم، ويحتمل أن يكون ابتداء إخبار من الله تعالى على جهة الدلالة على وجه ضلالتهم والتحذير من الشيطان الذي بلغهم ذلك المبلغ"[٤]، فإذا كان من كلام الظالم فالكلام متصل في محل نصب بالقول والوقف التام عند قوله: ﴿خَذُولٗا﴾، وهو تمام الجملة، وعلى هذا الجواز جمْعٌ من النحاة والمفسرين[٥].

(١) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، للعلامة المفسر أبي القاسم محمد بن أحمد بن جُزي الكلبي (ت:٧٤١هـ)، تحقيق محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ٢/ ١٠٧

(٢) انظر: تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، لقاضي القضاة أبي السعود بن محمد العمادي الحنفي (ت:٩٨٢هـ)، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ٤/ ١٧٤

(٣) انظر: روح المعاني، للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (ت:١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩/ ١٣

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢٠٩

(٥) انظر على سبيل المثال: الزمخشري (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للعلامة جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت:٥٣٨هـ)، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م، ٤/ ٣٤٦)، والرازي (تفسير الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، للإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري (ت:٦٠٤هـ)، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ٢٤/ ٧٦)، وأبو حيان (البحر المحيط ٦/ ٤٥٤)، والسمين (الدر المصون ٨/ ٤٨٠)، والثعالبي (تفسير الثعالبي٤/ ٢٠٨)، والأشموني (منار الهدى ص٢٧٤)، والشوكاني (فتح القدير ص١٠٣٩)

(٢) يقول تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ {المائدة: ٢٧ – ٢٩}

الكلام هنا على لسان هابيل بن آدم عليه السلام، لكن المختلف فيه هو جملة ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ كلام من؟ هل هي من كلام هابيل من جملة مقول القول في محل نصب، والوقف على ﴿فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ أم هي كلام استئناف من الله تعالى لا محل له، والوقف على ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؟

ظاهر كلام الزمخشري(١) وأبي السعود أنها من كلام الله تعالى، يقول أبو السعود:" والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها"(٢)، وهو المفهوم من كلام أبي عمرو الداني، فقد جعل الوقف على جملة ﴿فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ﴾ كافيا(٣).

وظاهر كلام ابن الأنباري والأشموني أنها من كلام هابيل، فإنهما جعلا الوقف على قوله ﴿فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ﴾ وقفا حسنا(٤).

(١) انظر: الكشاف ٢/٢٢٦

(٢) تفسير أبي السعود ٢/٤١

(٣) انظر: المكتفى ص٢٣٨، والمقصد لتلخيص ما في المرشد ص١١٨

(٤) انظر: إيضاح الوقف والابتداء ٢/٦٧١، ومنار الهدى ص١١٩

وجوَّزَ الوجهين النحاس(١) وابن عطية(٢) والسمين(٣)، قالوا:"يحتمل أن يكون من قول هابيل لأخيه ويحتمل أن يكون إخبارا من الله تعالى لمحمدﷺ"(٤)، وعلى هذا الرأي جمْعٌ من النّحاة والمفسرين(٥).

(٣) يقول تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ {المائدة: ٧٢}(٦)

يتحدث السياق عن تكفير مَن افترى على الله تعالى وعلى رسوله، فادّعى أنّ الله تعالى هو المسيح بن مريم تعالى الله أن يكون عبدا من عباده، وحاشا أنّ يكون عيسى عبد الله ورسوله راضيا أن يقال له أنت الله، وكيف وهو القائل: ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ﴾، وهذا لاخلاف فيه، وإنما الخلاف في قوله: ﴿ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ كلامُ من؟ هل هو من مقول قول المسيح عليه السلام في محل نصب، والكلام متصل والوقف على قوله﴿ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ أم هو اسئناف من كلام الله تعالى لا محل له، والكلام منقطع والوقف على قوله﴿ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ﴾؟

(١) انظر: معاني القرآن، لأبي جعفر النحاس (ت:٣٣٨هـ)، تحقيق الشيخ محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، ط١، ١٤٠٩هـ. ١٩٨٨م، ٢/ ٢٩٦

(٢) انظر: المحرر الوجيز ٢/ ١٧٩

(٣) انظر: الدر المصون ٤/ ٢٤٢

(٤) المحرر الوجيز ٢/ ١٧٩

(٥) انظر على سبيل المثال: ابن جزي (التسهيل ١/ ٢٣٣)، والثعالبي (تفسير الثعالبي ٢/ ٣٧١)

(٦) ورد خلاف مماثل لهذه الآية في قوله تعالى أيضا: (وما للظالمين من أنصار) {آل عمران: ١٩٢}

فقد جوَّزَ الوجهين الزمخشري(١) وابن عطية(٢) والآلوسي(٣) قالوا:"والجملة تذييل مقرِّر لما قبله، وهو إما من تمام كلام عيسى عليه السلام، وإما وارد من جهته تعالى تأكيدًا لمقالته عليه السلام وتقريرًا لمضمونها"(٤)، ووضحوا الفرق بين الوجهين بأنَّ جعلَه من كلام عيسى عليه السلام يعني: "ولا ينصركم أحدٌ فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول، أو ولا ينصركم ناصرٌ في الآخرة من عذاب الله"(٥) أو أنه "أخبرهم أنه من تجاوز ووضع الشيء غير موضعه فلا ناصر له، ولا مساعدَ فيما افترى وتقوّل، وفي ذلك ردعٌ لهم عما انتحلوه في حقّه من دعوى أنه إله، وإنه ظلم إذ جعلوا ما هو مستحيل في العقل واجبا وقوعه"(٦)، وأنَّ جعلَه من كلام الله تعالى يعني: "أنهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقوّلوا على عيسى عليه السلام فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم، ردَّه وأنكرَه، وإن كانوا معظِّمين له بذلك ورافعين من مقداره"(٧)، وأما الوجه الأول فقد استظره أبو حيان(٨)، وأما جواز الوجهين فعليه جمع من النحاة والمفسرين(٩).

---

(١) انظر: الكشاف ٢/٢٧٦

(٢) انظر: المحرر الوجيز ٢/٢٢١

(٣) انظر: روح المعاني ٦/٢٠٧

(٤) روح المعاني ٦/٢٠٧

(٥) الكشاف ٢/٢٧٦

(٦) البحر المحيط ٣/٥٤٣، ٥٤٤

(٧) الكشاف٢/٢٧٦

(٨) انظر: البحر المحيط ٣/٥٤٤

(٩) انظر على سبيل المثال: البيضاوي (تفسير البيضاوي٢/١٣٨)، وابن جزي (التسهيل١/٢٤٥)، والثعالبي (تفسير الثعالبي٢/٤٠٨)، وأبو السعود (تفسير أبي السعود٢/١٠٠)، وابن عاشور (التحرير والتنوير ٦/٢٨١)

وقد رأى ابن الأنباري[1] أن قوله ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ من تمام قول عيسى عليه السلام، فقد جعل الوقف حسنا على قوله﴿وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾، ولا يجوز الابتدا بما بعده (وما للظالمين).

يبقى في هذه الآية رأيٌّ، يرى أنَّ خلافا آخر في هذه الآية يتحكم في الوقف أيضا، وهو خلاف في تحديد نهاية مقول قول عيسى عليه السلام، هل هو ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾ أم هو ﴿وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ أم هو ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾؟

فقد جوَّز القرطبي[2] وأبو حيان[3] والشوكاني[4] وابن عاشور[5] أن يكون يكون ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ من كلام عيسى عليه السلام، وأن يكون من كلام الله تعالى والابتداء به، قالوا:"يجوز أن تكون هذه الجملة حكاية لكلام صدَرَ من عيسى عليه السلام فتكون تعليلًا للأمر بعبادة الله، ووقوع (إنّ) في مثل هذا المقام تغني غناءَ فاء التّفريع وتفيد التّعليل، وفي حكايته تعريض بأنّ قولهم ذلك قد أوقعهم في الشرك وإن كانوا يظنّون أنّهم اجتنبوه حذرًا من الوقوع فيما حذّر منه المسيح، ... وإن كانت الجملة من كلام الله تعالى فهو تذييل لإثبات كفرهم وزيادة تنبيه على بطلان معتقدهم وتعريض بهم بأنّهم قد أشركوا بالله من حيث أرادوا التّوحيد"[6]، وبناء على هذا الجواز وهذا التفريع عندهم يتفرع قوله: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾، فـ"يحتمل أيضا أن تكون من كلام المسيح عليه السلام على احتمال أن يكون قوله:﴿إِنَّهُۥ مَن

(١) انظرك المكتفى ص٦٢٤

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٤٩/٦

(٣) انظر: البحر المحيط ٥٤٣/٣

(٤) انظر: فتح القدير ص٣٨٦

(٥) انظر: التحرير والتنوير ٢٨١/٦

(٦) التحرير والتنوير ٢٨١/٦

يُشْرِكْ بِٱللَّهِ ﴾ من كلامه، ويحتمل أن تكون من كلام الله تعالى تذييلًا لكلام المسيح على ذلك الاحتمال، أو تذييلًا لكلام الله تعالى على الاحتمال الآخر "[١]

وعلى هذا يكون شكل التمام في تذييل مقول القول هنا على النحو الآتي:

﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى / إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ / وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ / ﴾

(٤) يقول تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ {فصلت: ٢١ – ٢٢}

يتحدث السياق عن مشهد من مشاهد يوم القيامة، وشهادة الجوارح على أصحابها في ذلك اليوم بأن ينطقها الله تعالى، وهنا يأتي استغرابهم واستنكارهم لهذه الجوار، ويأتي الجواب شافيا كافيا، وليس ثمة خلاف هنا، وإنما الخلاف في قوله: ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ كلامُ مَن؟ هل هو من تمام كلام الجوارح، في محل نصب والكلام متصل، ووقف الآية سنة حينئذ، ويجوز الاتصال أيضا، أم هو استئناف كلام من الله تعالى، لا محل له، وتمام الوقف على ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾؟.

(١) التحرير والتنوير ٢٨١/٦

يرى الرازي[١] أبو السعود[٢] والآلوسي[٣] أنَّ قوله:﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ ﴾ استئناف كلام جديد من الله تعالى، على جهة "التوبيخ والتقريع تقريرًا لجواب الجلود"[٤] المتقدم، والمعنى "ما كنتم تستخفون عند الأعمال القبيحة حذرا من شهادة الجوارح عليكم، ولما كان الإنسان لا يقدر على أن يستخفي من جوارحه عند مباشرة المعصية كان معنى الاستخفاء هنا ترك المعصية، وقيل: معنى الاستتار: الاتقاء، أي: ما كنتم تتقون في الدنيا أن تشهد عليكم جوارحُكم في الآخرة، فتتركوا المعاصي خوفا من هذه الشهادة"[٥]، لأنكم لا تؤمنون بإمكان نطقها ولا بالبعث أصلا. وعلى هذا الرأي أبو جعفر النحاس[٦] والأشموني[٧] وأبي يحيى زكريا الأنصاري[٨] أيضا، فقد جعلوا الوقف على ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ كافيا.

واستظهر أبو حيان أن يكون قوله:﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ ﴾من تمام كلام الجوارح، وأن الكلام متصل[٩].

---

(١) انظر: تفسير الرازي ٢٧/ ١١٨

(٢) انظر: تفسير أبي السعود ٤٢/٥

(٣) انظر: روح المعاني ١١٧/٢٤

(٤) روح المعاني ١١٧/٢٤، وانظر أيضا: تفسير أبي السعود ٤٢/٥

(٥) فتح القدير ص١٣١٣، وانظر أيضا: الجامع لأحكام القرآن٣٥١/١٥، والتسهيل ٢٩١/٢، وتفسير الثعالبي ١٣١/٥

(٦) انظر: القطع والائتناف ٦٢٧/٢

(٧) انظر: منار الهدى ص٣٤٣

(٨) انظر: المقصد لتلخيص ما في المرشد ص٣٤٣

(٩) انظر: البحر المحيط ٤٧٢/٧

وجَوَّزَ الوجهين ابنُ عطية[١] والقرطبي[٢] وابن عاشور[٣]، يقول ابن عاشور:"قلّ من تصدى من المفسرين لبيان اتصال هذه الآيات الثلاث بما قبلها، ومن تصدّى منهم لذلك لم يأت بما فيه مقْنع، وأوْلى كلام في ذلك كلام ابن عطية، ولكنه وَجيزٌ وغير محرر"[٤]، ثم يقول:"ما يقتضيه نظم الكلام... يجوز أن تكون جملة ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ﴾ بتمامها معطوفة على جملة ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ إلخ، فتكون مشمولة للاعتراض[٥] متصلة بالتي قبلها... ويجوز أن تكون مستقلة عنها، إمّا معطوفة على جملة ﴿وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ {فصلت: ١٩} الآيات، وإما معترضة بين تلك الجملة وجملةِ ﴿فَإِن يَصۡبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ﴾ {فصلت: ٢٤}، وتكون الواو اعتراضية، ومناسبة الاعتراض ما جرى من ذكر شهادة سمعهم وأبصارهم وجلودهم عليهم، فيكون الخطاب لجميع المشركين الأحياء في الدنيا، أو للمشركين في يوم القيامة"[٦]، واستقلالها يعني استئنافها على الخبر من الله تعالى، وعلى هذا هذا الجواز جمع من النحاة والمفسرين[٧].

---

(١) انظر: المحرر الوجيز ١١/٥

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٣٥١/١٥

(٣) انظر: التحرير والتنوير ٢٦٩/٢٤

(٤) التحرير والتنوير ٢٦٩/٢٤

(٥) على اعتبار أنه جوز قبل ذلك أن تكون (وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون) اعتراضا من الله تعالى، وأن تكون من كلام الجوارح.

(٦) التحرير والتنوير ٢٦٩/٢٤

(٧) انظر على سبيل المثال: ابن جزي (التسهيل٢٩١/٢، والثعالبي (تفسير الثعالبي١٣١/٥)، والشوكاني (فتح القدير ص١٣١٣)

والسؤال الآن: هل يمكن أن يكون سبب النزول[1] الذي ورد في نزول قوله﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ ﴾ داعما لفكرة الانفصال ووجوب الوقف على ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ واستئناف قوله ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ ﴾؟ الراجح نعم، وابن عاشور بعد أن جوَّز الوجهين رأى أن سبب النزول زاد الآية إشكالًا، ثم قال: إنَّ سبب النزول"يجعل موقعها – أي: قوله:﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ ﴾ – بين الآيات التي قبلها وبعدها غريبًا، فيجوز أن يكون نزولها صادف الوقت الموالي لنزول التي قبلها، ويجوز أن تكون نزلت في وقت آخر وأن رسول الله ﷺ أمر بوضعها في موضعها هذا لمناسبة ما في الآية التي قبلها من شهادة سمعهم وأبصارهم"[2]، وكل احتمالات ابن عاشور لم تشف غليلا، بل تؤكد بلا شك أنَّ سبب النزول يدعم فكرة الانفصال والاستئناف.

(٥) يقول تعالى:﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ {البقرة: ٢٤٧}

(١) ورد في سبب نزول هذه الآية: "عن عبد الله بن مسعود، قال: كنت مستترا بأستار الكعبة، فدخل ثلاثة نفر، ثَقَفِيان وقُرشيّ، أو قُرشيان وثَقَفي، كثير شحوم بطونهما، قليل فقه قلوبهما، فتكلموا بكلام لم أفهمه، فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟ فقال الرجلان: إذا رفعنا أصواتنا سمع، وإذا لم نرفع لم يسمع، فأتيت رسول الله ﷺ، فذكرت له ذلك، فنزلت هذه الآية:(وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ)... إلى آخر الآية" تفسير الطبري ٤١١/٢٠، وانظر أيضا: الجامع لأحكام القرآن ٣٥١/١٥، وفي رواية: "فقرأ حتى بلغ (وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ)" تفسير الطبري ٤١١/٢٠

(٢) التحرير والتنوير ٢٦٩/٢٤

يتحدث السياق عما دار بين نبي الله شمويل عليه السلام، وبين بني إسرائيل، فقد طلبوا من نبيهم أن يرسل لهم ملكا ليقاتلوا تحت إمرته في سبيل الله، فيطردوا أعداءهم من بلادهم ويستردوا سيادتهم ويحكِّموا شريعة ربهم، فأرسل لهم طالوت، فتعنّتَ بنو إسرائيل كعادتهم، واعترضوا على تعيين طالوت ملكا عليهم بعلتين، الأولى: أنّ النبوة كانت في سبط لاوى بن يعقوب ومنه موسى وهارون، والملك كان في سبط يهوذا ومنه داود وسليمان، وأنّ طالوت ليس من أحد هذين السبطين، بل كان من ولد بنيامين، الثانية: أنه كان فقيرًا ولا بد للملك من مال يعتضد به(١)، فردّ عليهم شمويل عليه السلام قائلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ﴾، وهذا لا خلاف فيه، وإنَّما الخلاف في قوله: ﴿وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ كلام مَن؟ هل هو من تمام كلام شمويل عليه السلام، من جملة مقول القول، في محل نصب، وتمام الوقف على ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾، أم هو اسئناف جديد من كلام الله تعالى، لا محل له، والوقف على ﴿فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ﴾ ؟

يرى "بعض المفسرين"(٢) و"بعض المتأولين"(٣)، أنَّ جملة ﴿وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ استئناف جديد من كلام الله تعالى، على وجه الخبر، لمحمد ﷺ، فالجملة معترضة بين كلامي شمويل عليه السلام، فبعده كلامه: ﴿وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ﴾{ البقرة: ٢٤٨}، وجاء الاعتراض"للتشديد والتقوية لمن يؤتيه الله الملك، أي: فإذا كان الله تعالى هو المتصرف في ملكه فلا اعتراض عليه، لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ"(٤). وعلى هذا الرأي

(١) انظر: تفسير الطبري ٤٤٨/٤، والكشاف ٤٧٢/١، والجامع لأحكام القرآن ٢٤٧/٣، والبحر المحيط ٢٦٨/٢

(٢) فتح القدير ص١٧٠

(٣) المحرر الوجيز ٢٣٢/١، والجامع لأحكام القرآن ٢٤٧/٣، وتفسير الثعالبي ٤٩٠/١

(٤) البحر المحيط٢٦٧/٢

أبو جعفر النحاس(١) وأبو عمرو الداني(٢) والأشموني(٣) وأبو يحيى زكريا الأنصاري(٤)، فقد جعلوا الوقف على ﴿وَٱلۡجِسۡمِ﴾ وقفا كافيا، ما بعده يتعلق به معنى لا لفظا.

ويرى البيضاوي(٥) والآلوسي(٦) أنَّ جملة ﴿وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ من تمام كلام شمويل عليه السلام، والمعنى أنه"لما علم نبيهم عليه السلام تعنتهم وجدالهم في الحجج تمّمَ كلامَه بالقطعي الذي لا اعتراض عليه"(٧)، عليه"(٧)، واستدلا على ذلك بأن شمويل عليه السلام احتج على اعتراضهم بأربع حج، منها: أنَّ الله يؤتي ملكه من يشاء، ومنها: أنَّ الله واسع عليم، قالا:"ردّ عليهم بأبلغ وجه وأكمله كأنه قيل: لا تستبعدوا تملُّكَه عليكم لفقره وانحطاط نسبه عنكم، أمّا أولًا: فلأن ملاك الأمر هو اصطفاء الله تعالى وقد اصطفاه واختاره وهو سبحانه أعلم بالمصالح منكم، وأمّا ثانيًا: فلأن العمدة وفور العلم ليتمكن به من معرفة الأمور السياسية، وجسامة البدن ليكون أعظم خطرًا في القلوب وأقوى على كفاح الأعداء ومكابدة الحروب، لا ما ذكرتم، وقد خصه الله تعالى بحظ وافر منهما، وأمّا ثالثًا: فلأنه تعالى مالك الملك على الإطلاق، وللمالك أنْ يُمكِّن مَن شاء من التصرف في ملكه بإذنه، وأمّا رابعًا: فلأنه سبحانه واسع الفضل يوسع على الفقير فيغنيه، عليم بما يليق بالملك من النسيب وغيره"(٨)،

---

(١) انظر: القطع والائتناف ١/١٠٧

(٢) انظر: المكتفى ص١٨٩

(٣) انظر: منار الهدى ص٦٢

(٤) انظر: المقصد ص٦٢

(٥) انظر: تفسير البيضاوي ١/١٥٠

(٦) انظر: روح المعاني ٢/١٦٧

(٧) المحرر الوجيز ١/٢٣٢، وانظر أيضا: البحر المحيط ٢/٢٦٧

(٨) روح المعاني ٢/١٦٧، وانظر أيضا: تفسير البيضاوي ١/١٥٠

وحكى الطبري[١] هذا الوجه عن الربيع وابن عباس وابن زيد، وعلى هذا الرأي أيضا ابن الأنباري[٢]، فقد جعل الوقف على ﴿وَٱلْجِسْمِ﴾ و﴿مَن يَشَآءُ﴾ ﴾وقفًا حسنًا، يجوز الوقف عليه ولا يجوز الابتدا بما بعده لأنه من تمام قول النبيّ.

وجوَّز الوجهين القرطبي[٣] وأبو حيان[٤] وابن عاشور[٥]، قالوا:"يحتمل أن أن يكون من كلام النبي، فيكون قد رجع بهم إلى التسليم إلى أمر الله، بعد أن بيّنَ لهم شيئًا من حكمة الله في ذلك، ويحتمل أن يكون تذييلًا للقصة من كلام الله تعالى، وكذلك قوله: ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٦]، واستظهر الوجه الأول ابن ابن عطية[٧] والقرطبي[٨] وأبوحيان[٩] والثعالبي[١٠] والشوكاني[١١]، قالوا: "ظاهرُه "ظاهرُه أنَّه من معمول قول النبي لهم، لمّا علم بغيتهم في مسائلهم ومجادلتهم في الحجج التي تبديها"[١٢]

والسؤال الآن: ألا يرجحُ تكرار الفعل (قال) بعدُ في قوله:﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ ﴾{ البقرة: ٢٤٨}، أن يكونَ قوله: ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ

---

(١) انظر: تفسير الطبري ٤/٤٤٠، و٤/٤٥٢، و٤/٤٧٨

(٢) انظر: إيضاح الوقف والابتداء ١/٥٥٥

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٣/٢٤٧

(٤) انظر: البحر المحيط ٢/٢٦٧

(٥) انظر: التحرير والتنوير ٢/٤٩٢

(٦) التحرير والتنوير ٢/٤٩٢

(٧) انظر: المحرر الوجيز ١/٣٣٢

(٨) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٣/٢٤٧

(٩) انظر: البحر المحيط ٢/٢٦٧

(١٠) انظر: تفسير الثعالبي ١/٤٩٠

(١١) انظر: فتح القدير ص١٧٠

(١٢) البحر المحيط ٢/٢٦٧

مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ استئنافًا من كلام الله تعالى، وهو منقطع عما قبله وما بعده على جهة الاعتراض والخبر، فكرر الفعل (قال) لذلك؟ فلو كان الكلامُ كلُّه نسقا واحدا ومقولا للنبي لما كرَّرَ الفعل (قال)، الرأي – والله أعلم – أنَّ هذا يُرجّحُه.

(٦) يقول تعالى: ﴿ قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٍ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٨ – ٣٩]

يتحدث السياق عن حوار دار بين الله عز وجل والكفار، وبين قادة الكفر والضلال وأتباعهم، فقد أمرَهم الله بالدخول في النار يوم القيامة، فلما تلاحقوا جميعا فيها قادةً وأتباعا، قال الأتباع: أضلّنَا قادتُنا فآتهم ضعفين من العذاب، فردَّ الرؤساء والقادة: لم تبلغوا أملا في أن يكون عذابُكم أخفَّ من عذابنا، فلستم أفضل حالا منا، فما كان لكم علينا من فضل فيخفف عنكم، فقد كفرتم كما كفرنا، فنحن وأنتم متساوون في استحقاق الضعف كما تساوينا في الكفر والضلال، ومجمل المعنى هو "موعظة وتحذير لقادة المسلمين من الإيقاع بأتباعهم فيما يَزِجّ بهم في الضّلالة، ويحسِّن لهم هواهم، وموعظة لعامتهم من الاسترسال في تأييد من يشايع هواهم، ولا يبلغهم النّصيحة"(١) هذا السياق لا خلاف فيه، وإنَّما الخلاف في قوله: ﴿ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴾ كلامُ مَن؟ هل هو من تمام كلام الرؤساء والقادة، من مقول القول، في محل نصب،

(١) التحرير والتنوير ١٢٥/٨

والوقف على ﴿ تَكۡسِبُونَ ﴾ أم هو استئناف من الله تعالى[1]، لا محل له، والوقف على ﴿مِن فَضۡلٍ﴾؟

يرى أبو السعود[2] والأشموني[3] أنَّ جملة ﴿ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴾ من كلام الرؤساء والقادة خطابا للأتباع، عطفوا ﴿ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ ﴾ على ﴿ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٍ ﴾ بفاء العطف الدالة على الترتب، وصيغة الأمر في قولهم ﴿ فَذُوقُواْ ﴾ "مستعملة في الإهانة والتشفّي"[4]، "فالتشفي منهم فيما نالهم من عذاب الضّعف ترتَّب على تحقّق انتفاء الفضل بينهم في تضعيف العذاب الذي أفصح عنه إخبار الله بأنّ لهم عذابا ضعفا"[5]، ولهذا المعنى جعل الأشموني الوقف على ﴿مِن فَضۡلٍ﴾ وقفا حسنا، لا يجوز الابتدا بما بعده لأنه من تمام قول القادة. واستظهر هذا الوجه أبو حيان والآلوسي[6].

ويرى أبو جعفر النحاس[7] وأبو عمرو الداني[8] وأبو يحيى زكريا الأنصاري[9] أنَّ جملة ﴿ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴾من كلام الله تعالى،

---

(١) يجوز أن يكون كلام الله تعالى معطوفا على كلامه السابق (لكل ضعف)، فيكون من مقول القول في محل نصب أيضا كما يرى ابن عطية فيما سيأتي، والخلاف مازال قائما في الوقف.

(٢) انظر: تفسير أبي السعود ٣٤٣/٢

(٣) انظر: منار الهدى ص١٤٥

(٤) التحرير والتنوير ١٢٤/٨، وانظر أيضا: البحر المحيط ٢٩٩/٤، وروح المعاني ١١٧/٨

(٥) التحرير والتنوير ١٢٤/٨

(٦) انظر: البحر المحيط ٢٩٩/٤، وروح المعاني ١١٧/٨

(٧) انظر: القطع والائتناف ٢٥١/١، ٢٥٢، فقد جعل الوقف كافيا على (من فضل).

(٨) انظر: المكتفى ص٢٧٠، فقد جعل الوقف كافيا على (من فضل).

(٩) انظر: المقصد ص١٤٥، فقد جعل الوقف كافيا على (من فضل).

مخاطبا به كلا الفريقين "للإهانة"[1] "والتوبيخ"[2]، والفاء للاستئناف، والجملة لا لا محل لها، وجعل ابن عاشور الجملة في محل نصب من مقول قول الله المتقدم، والفاء عاطفة، عطفت ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ على ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾، قال:"ويكون قوله :﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ جملة معترضة بين الجملتين المتعاطفتين"[3] والوقف والوقف في الحالتين على ﴿مِن فَضْلٍ﴾

وجوَّزَ الوجهين الزمخشري[4] والرازي[5] والنسفي[6]، قالوا:"وهو من قول القادة للسفلة، ولا وقف على ﴿مِن فَضْلٍ﴾ أو من قول الله لهم جميعًا والوقف على ﴿مِن فَضْلٍ﴾"[7]، وعلى هذا الرأي جمع من النحاة والمفسرين[8].

(٧) يقول تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ {التوبة: ٥١}

---

(١) التحرير والتنوير ١٢٤/٨

(٢) روح المعاني ١٧/٨

(٣) التحرير والتنوير ١٢٤/٨

(٤) انظر: الكشاف ٤٤١/٢

(٥) انظر: تفسير الرازي ٧٩/١٤

(٦) انظر: تفسير النسفي المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات عبد الله بن بن أحمد بن محمود النسفي (ت:٧١٠هـ)، تحقيق يوسف علي بدوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ٥٦٨/١

(٧) تفسير النسفي ٥٦٨/١

(٨) انظر على سبيل المثال: السمرقندي (بحر العلوم٥٣٠/١)، وابن عطية (المحرر الوجيز٣٩٩/٢)، وابن جزي (التسهيل٣٠١/١)، وأبو حيان (البحر المحيط٢٩٩/٤)، والثعالبي (تفسير الثعالبي٣٠/٣)، والآلوسي (روح المعاني١١٧/٨)، وابن عاشور (التحرير والتنوير١٢٤/٨)

يتحدثُ السياقُ عن المنافقين المتخلفين عن غزوة تبوك الذين يفرحون في مصائب المسلمين وهزائمهم، ويقولون قد أخذنا أمرنَا واحتياطَنا من قبل فلم نخرج، ويغتمون عندما يصيب المسلمين فرحٌ أو غنيمةٌ أو نصرٌ، فأمر الله تعالى نبيَّه ﷺ أن يقول لهم ردا على قولهم: قد أخذنا أمرنا: ﴿لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَا﴾، أي: إننا لا نكترث بنزول المصائب؛ لأننا نعلم أن ما يصيبنا يكون بتقدير الله، هذا لا خلاف فيه، وإنما الخلاف في قوله ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ كلام من؟ هل هو من كلام الله تعالى استئناف جديد، لا محل له، والنبي غير مأمور بقوله، والوقف على ﴿هُوَ مَوۡلَىٰنَا﴾ أم هو من مقول النبي ﷺ الذي أُمرَ بقوله من قبل الله تعالى، والجملة في محل نصب، والوقف على ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾؟

يرى أبو جعفر النحاس[(١)] وابن الأنباري[(٢)] والأشموني[(٣)] وأبو يحيى زكريا زكريا الأنصاري[(٤)] والآلوسي[(٥)] أنَّ جملة ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ من تمام كلام النبي ﷺ المأمور به، في محل نصب مقول القول، والوقف على ﴿ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾، أي: قل لهم: لن يصبنا، وقل لهم: لا تتوكلوا إلا على الله، "أي يؤمنون بأنّه مؤيّدهم ، وليس تأييدهم بإعانتكم"[(٦)]، ومن أجل هذا المعنى رأى هؤلاء العلماء أنَّ الوقف على ﴿هُوَ مَوۡلَىٰنَا﴾ وقفٌ حسنٌ. وهذا الرأي هو ظاهر كلام جمع من العلماء[(٧)]، وكان حقُّ النظم أن يكون بضمير

(١) انظر: القطع والائتناف ٢٨٨/١
(٢) انظر: إيضاح الوقف والابتداء ٦٩٤/٢
(٣) انظر: منار الهدى ص١٦٦
(٤) انظر: المقصد ص١٦٦
(٥) انظر: روح المعاني ١١٥/١٠
(٦) التحرير والتنوير ٢٢٣/١٠
(٧) انظر: روح المعاني ١١٥/١٠

المتكلم، فيقول: وعلى الله فلنتوكلْ، وعلة العدول عن ضمير المتكلم إلى كلمة المؤمنين – كما يقول الآلوسي – "ليؤذن بأن شأن المؤمنين اختصاص التوكل بالله تعالى"(١).

ويرى أبوعمرو الداني(٢) أنَّ جملة ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ جملة استئنافية، استئناف كلام من الله تعالى، خبر جديد في معنى الأمر، أي: لا تتوكلوا إلا على الله، "أي: قلْ ذلك ولا تتوكّلوا إلا على الله دون نصرة هؤلاء، أي: اعتمدوا على فضله عليكم"(٣)، والوقف حينئذ على ﴿هُوَ مَوۡلَىٰنَا﴾ وهو وقف كاف كما يقول أبوعمرو.

وجوَّز الوجهين ابن عاشور قائلا:"وجملة ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ يجوز أن تكون معطوفة على جملة ﴿قُل﴾ فهي من كلام الله تعالى خبرًا في معنى الأمر، أي: قل ذلك ولا تتوكّلوا إلا على الله دون نصرة هؤلاء، أي: اعتمدوا على فضله عليكم. ويجوز أن تكون معطوفة على جملة ﴿لَّن يُصِيبَنَآ﴾ أي: قل ذلك لهم، وقل لهم: إنَّ المؤمنين لا يتوكّلون إلا على الله"(٤). والتذييل في الوجهين"تنبيه على أنّ حال المنافقين بالضد من ذلك وأنهم وأنهم لا يتوكلون إلا على الأساب الدنيوية واللذات العاجلة الفانية"(٥).

والسؤال الآن: هل يمكن أن يرجح قوله تعالى:﴿إِذۡ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمۡ أَن تَفۡشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢]، وقوله: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ

(١) روح المعاني ١١٥/١٠
(٢) انظر: المكتفى ص٢٩٤
(٣) التحرير والتنوير ٢٢٣/١٠
(٤) التحرير والتنوير ٢٢٣/١٠
(٥) تفسير الرازي ٨٩/١٦

﴿فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ {آل عمران: ١٦٠}، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ {المائدة: ١١}، وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ {المجادلة: ١٠}، وقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ {التغابن: ١٣} هل يمكن أن يرجح الانفصال والخبر الجديد من الله تعالى على وجه الاستئناف، لمجيء النظم نفسه كلاما له في هذه الآيات؟

الراجح نعم.

(٨) يقول تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ {غافر: ٤٩ – ٥٠}

يتحدث السياق عما دار بين أهل النار وخزنتها، إذ طلب أهل النار منهم التخفيفَ، فقال الخزنة: أولم تك تأتيكم رسلكم بالحجج الظاهرة، يَتْلُون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا، قالوا: بلى أي: اعترفوا بذلك، جاءونا فكذبناهم، فقالت لهم الملائكة: إذًا فادعوا أنتم ربَّكم، وتولوا أمرَ أنفسِكم، على سبيل التهكم والسخرية، هذا لا خلاف فيه، وإنَّما الخلاف في قوله: ﴿وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ كلامُ من؟ هل هو من تمام كلام خزنة النار، في محل نصب، والوقف على ﴿إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ أم هو استئناف كلام جديد، من الله تعالى، لا محل له، والوقف على ﴿فَٱدْعُوا۟﴾؟

يرى الأشموني[١] وأبو يحيى زكريا الأنصاري[٢] أن جملة ﴿وَمَا دُعَـٰٓؤُاْ ٱلۡكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾ استئناف جديد من الله تعالى، إخبار منه لمحمد ﷺ، لا محل له، قالا: ﴿فَٱدۡعُواْ﴾ تام، ومثله ﴿فِي ضَلَٰلٍ﴾، ومعنى الأمر بالدعاء حينئذ "الهزء"[٣] بهم لا لرجاء المنفعة أو الإجابة، وهذا الوجه هو قول فرقة من المفسرين كما يقول ابن عطية[٤].

ويرى الرازي[٥] و الشوكاني[٦] أن جملة ﴿وَمَا دُعَـٰٓؤُاْ ٱلۡكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾ من تمام قول الملائكة، والكلام موصول، فهو "تذييلٌ لكلامهم يبين أن قولهم : ﴿فَٱدۡعُواْ﴾ مستعمل في التنبيه على الخطأ، أي: دعاؤكم لم ينفعكم لأن دعاء الكافرين في ضلال"[٧]، والمعنى حينئذ أن الملائكةَ "لم يريدوا بأمرهم بأمرهم بالدعاء إطماعَهم في الإجابة، بل إقناطهم منها وإظهار خيبتهم"[٨]. وهذا الرأي هو الظاهر عند أبي حيان[٩]، وهو المفهوم من كلام القرطبي[١٠] وأبي السعود[١١] أيضا.

(١) انظر: منار الهدى ص٣٣٩

(٢) انظر: المقصد ص٣٣٩

(٣) تفسير الثعالبي ١١٨/٥

(٤) انظر: المحرر الوجيز ٥٦٣/٤

(٥) انظر: تفسير الرازي ٧٥/٢٧

(٦) انظر: فتح القدير ص١٣٠٣

(٧) التحرير والتنوير ١٦٥/٢٤

(٨) روح المعاني ٧٦/٢٤

(٩) انظر: البحر المحيط ٤٥٠/٧

(١٠) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٣٢٢/١٥

(١١) انظر: تفسير أبي السعود ٢٢/٥

وجوَّز الوجهين النسفي[1] والثعالبي[2] والآلوسي[3] وابن عاشور[4]، قالوا:"وجملة ﴿ وَمَا دُعَـٰٓؤُاْ ٱلۡكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴾ يجوز أن تكون من كلام خزنة جهنم تذييلا لكلامهم... ويجوز أن تكون من كلام الله تعالى تذييلا واعتراضا"[5]، وعلى هذا الرأي جمع من النحاة والمفسرين[6].

والسؤال الآن: هل يمكن أن تكون آية الرعد: ﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴾ {الرعد: ١٤} مرجحا للقطع والاستئناف، فهي من كلام الله تعالى قولا واحدا؟ الراجح نعم، وأن ما بعدها أيضا من كلام الله تعالى.

(٩) يقول تعالى: ﴿ قَالَتۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۖ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴾ {النمل: ٣٢ – ٣٤}

يتحدث السياق عن الحوار الذي دار بين بلقيس ملكة سبأ وقومها لمّا أرسل إليها سليمان عليه السلام يدعوها إلى الإسلام، طلبت منهم الاستشارة، فأرجعوا القرار إليها، فقالت: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗ ﴾، أي: إذا دخلوا قرية عنوة بلا صلح دمروها وأهانوا أهلها، وهذا لا خلاف فيه، وإنما الخلاف في قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴾ كلام من؟ هل من تمام كلام

---

(١) انظر: تفسير النسفي ٢١٥/٣
(٢) انظر: تفسير الثعالبي ١١٧/٥
(٣) انظر: روح المعاني ٧٦/٢٤
(٤) انظر: التحرير والتنوير ١٦٥/٢٤
(٥) التحرير والتنوير ١٦٥/٢٤
(٦) انظر على سبيل المثال: ابن عطية (المحرر الوجيز ٥٦٣/٤) وابن جزي (التسهيل ٢٨٣/٢) وأبوحيان (البحر المحيط ٤٥٠/٧)

بلقيس، في محل نصب، والوقف على ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ أم هو استئناف كلام من الله تعالى، على وجه الخبر، لا محل له، والوقف على ﴿أَذِلَّةً﴾؟

يرى الطبري[1] وابن الأنباري[2] وأبو جعفر النحاس[3] والأشموني[4] أنَّ جملة ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ من كلام الله تعالى ، استئناف لا محل له، واعتراض بين كلامي بلقيس، وأنَّ كلام بلقيس انتهى عند﴿أَذِلَّةً﴾، يقول ابن الأنباري:" ﴿وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾ هذا وقف تام، فقال الله تعالى:﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾"[5]، والمعنى أنَّ بلقيس لمَّا قالت: إنَّ الملوك إذا دخلوا قرية عنوة وغلبة أفسدوها بالهلاك والتدمير والقتل، قال الله:﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ "تصديق لها من جهته عز وجل"[6]، عن الملوك إذا تغلبوا، و"تحقيق لقولها"[7] وتأكيد له، و إعلامٌ به "لرسوله ﷺ وأمته"[8]، أي: "ومِثْلَ ذلك الفعلِ يَفْعلون"[9]، أو "وكما قالت صاحبة سبأ تفعل الملوك إذا دخلوا قرية عنوة"[10]، أو "وكذلك شأن

---

(١) انظر: إيضاح الوقف والابتداء ٨١٧/٢

(٢) انظر: تفسير الطبري ٥١/١٨

(٣) انظر: إعراب القرآن، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت:٣٣٨هـ)، تحقيق الدكتور/ زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، ٢١٠/٣، والقطع والائتناف ٥٠١/٢، وفي كتابه "معاني القرآن" جوز الوجهين، ١٣١/٥

(٤) انظر: منار الهدى ص٢٨٥

(٥) إيضاح الوقف والابتداء ٨١٧/٢

(٦) روح المعاني ١٩٨/١٩

(٧) الجامع لأحكام القرآن ١٩٥/١٣

(٨) البحر المحيط ٧٠/٧، وانظر أيضا: المحرر الوجيز ٢٥٨/٤

(٩) الدر المصون ٦١١/٨، وفتح القدير ص١٠٧٩

(١٠) تفسير الطبري ٥١/١٨

الملوك إذا غلبوا وقهروا أفسدوا"[١]. وقد دلل الزجاج على صحة هذا الوجه بقوله:"هو من قول الله ﷻ – والله أعلم – لأنَّها هي قد ذكرت أنهم يفسدون، فليس في تكرير هذا منها فائدة"[٢]، والحقُّ أنَّ التكرير قد ورد في القرآن كثيرا للتأكيد، فلا مانع منه، فليس كلامه وجها لإثبات صحته، وعلى هذا الوجه جمع من النحاة والمفسرين[٣]، وهو قول ابن عباس[٤] وسعيد بن جبير[٥] رضي الله الله عنهما أيضا.

ويرى الرازي[٦] وابن شجرة[٧] أنَّ جملة ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ تذييل من تمام تمام كلام بلقيس، في محل نصب مقول القول، والوقف عليها، فهو "تأكيد لمَا

---

(١) البحر المديد ٣٢٩/٥

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١١٩/٤

(٣) انظر على سبيل المثال: الفراء (معاني القرآن٤٨/٢، ٢٩٢) والزجاج (معاني القرآن وإعرابه١١٩/٤) وابن فارس (الصاحبي في فقه اللغة العربية، للإمام العلامة أبي الحسين أحمد بن فارس (٣٩٥هـ)، تحقيق/ السيد أحمد صقر، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ص٤٠٦) وأبو عمرو الداني (المكتفى ص٤٢٩) وابن هشام (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لجمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري (ت:٧٦١هـ)، تحقيق الدكتور/ عبد اللطيف محمد الخطيب، السلسلة التراثية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط١، ١٤٢٣هـ ت ٢٠٠٢م، ١٨٤/٥، ٥٥٧/٦) والزركشي (البرهان٣٥١/١، ٥٧/٣، ٢٩٤) وابن الجزري (النشر ١٧٩/١) والسيوطي (الإتقان ص٥٤٤، ٥٨١) وأبو يحيى زكريا الأنصاري (المقصد ص٢٨٥) والخطيب الشربيني (السراج المنير ٩٢/٢، ١٤٨) والكفوي (الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت:١٠٩٤هـ)، تحقيق/ عدنان درويش، و محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص١١١)

(٤) انظر: تفسير الطبري ٥١/١٨، والقطع والائتناف ٥٠١/٢، وبحر العلوم ٤٩٥/٢، والمحرر الوجيز ٢٥٨/٤، والجامع لأحكام القرآن ١٩٥/١٣، وتفسير الثعالبي ٢٤٩/٤، وروح المعاني ١٩٨/١٩

(٥) انظر: إعراب القرآن ٢١٠/٣

(٦) انظر: تفسير الرازي ١٩٦/٢٤

(٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٩٥/١٣

وصفتْ من حالهم وتقريرٌ بأنَّ ذلك من عاداتهم الثابتة المستمرة"[1]، قالت ذلك عن خبرة؛ "لأنها كانت في بيت المملكة قديما، أبًا عن أبٍ، فجربت الأمور"[2]، والمعنى"وكذلك يفعلُ سليمانُ إذا دخل بلادنا"[3]، أو "إنّ سليمان وجنوده كذلك يفعلون"[4]، وهو قول الحسن[5] أيضا، ونسبَه ابن عطية والثعالبي لفرقة[6] من من المفسرين، وقد استظهره أبو حيان[7] والسمين[8]، قال السمرقندي:"وأكثر المفسرين على خلاف ذلك"[9]

وجوّز الوجهين العكبري[10] والبيضاوي[11] وأبو السعود[12] والآلوسي[13]، قالوا:"﴿وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ من كلام الله ﷻ تصديقاً لقولها فيوقف على ما قبله، أو من كلام بلقيس تأكيدًا للمعنى الذي أرادته، وتعني: كذلك يفعل هؤلاء

---

(١) تفسير البيضاوي ١٦٠/٤

(٢) البحر المديد ٣٢٩/٥

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٩٥/١٣

(٤) بحر العلوم ٤٩٥/٢

(٥) انظر: بحر العلوم ٤٩٥/٢

(٦) انظر: المحرر الوجيز ٢٥٨/٤، وتفسير الثعالبي ٢٤٩/٤

(٧) انظر: البحر المحيط ٧٠/٧

(٨) انظر: الدر المصون ٦١١/٨

(٩) بحر العلوم ٤٩٥/٢

(١٠) انظر: التبيان ٦٣٢/٢

(١١) انظر: تفسير البيضاوي ١٦٠/٤

(١٢) انظر: تفسير أبي السعود ٢٥٩/٤

(١٣) انظر: روح المعاني ١٩٨/١٩

بنا"[١] ويوقف على ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾، وعلى هذا الجواز جمع من النحاة والمفسرين[٢] أيضا.

المطلب الثالث: تذييل الجملة بين مقول القول والاستئناف بغير حرف العطف

(١) يقول تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ {آل عمران: ١١٩}

هذا كشف عن دخائل المنافقين ممن حول المسلمين، وأمر بعدم اتخاذهم بطانة، فالله يطلع نبيه على مكنوناتهم وصدورهم، بقوله: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ﴾، ثم أمر الله نبيه بالدعاء عليهم بدوام الغيظ بقوله: ﴿قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ﴾، وهذا لا خلاف فيه، وإنما الخلاف في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ كلام مَن؟، هل هو كلام النبي ﷺ المأمور بقوله مع قوله: ﴿مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ﴾ فهو من مقول القول في محل نصب والوقف على ﴿ٱلصُّدُورِ﴾ والمعنى: قل لهم كذا وكذا، أم هو من كلام الله تعالى استئناف لا محل له، والوقف على ﴿بِغَيۡظِكُمۡ﴾؟

(١) التسهيل ٢/ ١٣٠

(٢) انظر على سبيل المثال: أبو جعفر النحاس (معاني القرآن٥/ ١٣١) والسمرقندي (بحر (بحر العلوم٢/ ٤٩٥) والزمخشري (الكشاف٤/ ٤٥٣) وابن عطية (المحرر الوجيز٤/ ٢٥٨) والقرطبي (الجامع لأحكام القرآن١٣/ ١٩٥) والنسفي (تفسير النسفي٢/ ٦٠٤) والثعالبي (تفسير الثعالبي٤/ ٢٤٩، ٢٥٠) وأبو حيان (البحر المحيط٧/ ٧٠)، والسمين (الدر المصون٨/ ٦١١) وابن عجيبة (البحر المديد٥/ ٣٢٩) والشوكاني (فتح القدير ص١٠٧٩)

يرى السمرقندي(١) وابن عاشور أنّ قوله:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾كلام استئناف من الله تعالى، غير داخل في جملة مقول القول، لا محل له من الإعراب، وأن تمام الكلام على ﴿ بِغَيۡظِكُمۡ ﴾، يقول ابن عاشور:"هو تذييل لقوله: ﴿ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِ ﴾، وما بيْنها كالاعتراض أي إنّ الله مطلّع عليهم وهو مطلعك على دخائلهم"(٢)، فهو استئناف "على سبيل الوعيد"(٣). وهو ظاهر كلام أبي عمرو الداني(٤) والأشموني(٥) أيضا؛ إذ جعلا الوقف كافيا على قوله﴿ بِغَيۡظِكُمۡ ﴾، أي ما بعده له تعلق بما قبله في المعنى لا اللفظ، فهى جملة استئنافية.

ويرى الشوكاني أنّ قوله:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ داخل في مقول القول، فقال:"وهو كلام داخل تحت قوله ﴿ قُلۡ ﴾ فهو من جملة المقول"(٦) ، وهو الوجه عند ابن الأنباري أيضا لأن الوقف عنده على ﴿ بِغَيۡظِكُمۡ ﴾ وقفٌ حسن(٧)، لا يجوز الابتداء بما بعده، وهذا هو الوجه الذي استظهره أبو حيان(٨)

---

(١) انظر: تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت:٣٧٥هـ)، تحقيق الشيخ/ علي محمد معوض، والشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ١/ ٢٩٥

(٢) التحرير والتنوير ٦٧/٤

(٣) الدر المصون٣/٣٧٣

(٤) انظر: المكتفى ص٢٠٧

(٥) انظر: منار الهدى ص٨٧

(٦) فتح القدير ص٢٤١

(٧) انظر: إيضاح الوقف والابتداء ٢/٥٨٣

(٨) انظر: البحر المحيط٣/٤٥

وجوز الوجهين الزمخشري[1] والبيضاوي[2] والسمين[3]، قالوا:"وهو يحتمل يحتمل أن يكون من المقول أي: وقل لهم إن الله عليم بما هو أخفى مما تخفونه من عض الأنامل غيظا، وأن يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب من اطلاعي إياك على أسرارهم فإني عليم بالأخفى من ضمائرهم"[4]، وعلى هذا الرأي جمع من النحاة والمفسرين[5].

(٢) يقول تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ {غافر: ٢٨}

يتحدث السياق عما دار في قصر فرعون، فقد أبدى فرعون رغبته في إعدام موسى معللًا ذلك بأمرين: تبدي موسى لدين الدولة والشعب، والثاني إظهار موسى الفساد في البلاد، وها هو ذا رجل مؤمن من رجالات القصر يكتم إيمانه بموسى وبما جاء به من التوحيد خوفًا من فرعون وملائه، ينكر عليهم قرار الإعدام بغير حجة، فهو لم يجبركم على أن تؤمنوا به، فاقْبَلوا ما قَاله أو ارْفضُوه، ثم احتجّ عليهم بأن قال: إنه إما أن يكون كاذبًا أو صادقًا، فإن كان كاذبًا فوبال كذبه عليه، وإن كان صادقًا يُصبكم قطعًا بعضُ ما يعدكم به من العذاب، هذا المتفق عليه من كلام مؤمن آل فرعون، لكن

---

(١) انظر: الكشاف ٦١٦/١

(٢) انظر: تفسير البيضاوي ٣٥/٢

(٣) انظر: الدر المصون ٣٧٣/٣

(٤) تفسير البيضاوي ٣٥/٢، وانظر أيضا: الكشاف ٦١٦/١، ٦١٧، و تفسير الرازي ٢٢٠/٨، تفسير النسفي ٢٨٧/١، وتفسير أبي السعود ٥٤٣/١، وروح المعاني ٤٠/٤

(٥) انظر على سبيل المثال: الرازي (تفسير الرازي ٢٢٠/٨)، والنسفي (تفسير النسفي ٢٨٧/١)، وأبو السعود (تفسير أبي السعود ٥٤٣/١)، والآلوسي (روح المعاني ٤٠/٤)

الخلاف في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ﴾ كلام مَن؟ هل هو من كلام المؤمن، في محل نصب مقول القول، والكلام متصل، أم هو استئناف منقطع، من كلام الله تعالى، لا محلَّ له، والوقف على ﴿يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡ﴾؟

جوَّزَ الوجهين ابن عاشور قائلا:"وجملة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ﴾ يجوز أنها من قول مؤمن آل فرعون، فالمقصود منها تعليل قوله: ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡ﴾ أي: لأن الله لا يقرُّه على كذبه فإن كان كاذبًا على الله فلا يلبث أن يفتضح أمره أو يهلكه ، كما قال تعالى: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ﴾ {الحاقة: ٤٤- ٤٦}؛ لأن الله لا يمهل الكاذب عليه، ... ويجوز أن تكون جملة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي﴾ إلى آخرها، جملة معترضة بين كلامي مؤمن آل فرعون، ليست من حكاية كلامه، وإنما هي قول من جانب الله في قُرآنه، يقصد منها تزكية هذا الرجل المؤمن؛ إذ هداه الله للحق، وأنه تقيّ صادق، فيكون نفي الهداية عن المسرف الكذاب كناية عن تقوى هذا الرجل وصدقه؛ لأنه نطق عن هدى، والله لا يعطي الهدى من هو مسرف كذاب"[1]، فالوقف والوصل جازان على هذا الرأي.

ويرى أبو جعفر النحاس[2] وأبو عمرو الداني[3] أنَّ جملة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ﴾ استئناف جديد من كلام الله تعالى، وأنَّ تمام

(١) التحرير والتنوير ١٣٠/٢٤، ١٣١

(٢) انظر: القطع والائتناف ص٦١٧ وعنده الوقف على (يعدكم) كاف.

(٣) انظر: المكتفى ص٤٩٣ وعنده الوقف على (يعدكم) تام.

الوقف على قوله: ﴿ بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ﴾ يقول أبو عمرو: "لأن تمام الفاصلة من قول الله عز وجل"[١] وليست من كلام المؤمن.

ويرى ابن عطية[٢] والرازي[٣] والآلوسي[٤] أنَّ جملة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ من تمام مقول قول الرجل المؤمن، "وهو احتجاج آخر ذو وجهين، أحدهما: أنه لو كان مسرفًا كذابًا لما هداه الله إلى البينات ولا أيده بالمعجزات، وثانيهما: أنّه إذا كان كذلك خذله الله وأهلكه فلا حاجة لكم إلى قتله"[٥] وهو كلام "يدل على أنَّ موسى عليه السلام ليس من الكاذبين، فكان قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ إشارة إلى علو شأن موسى عليه السلام على طريق الرمز والتعريض"[٦]، وقد يدل أيضا عن طريق الرمز والتعريض على أنَّ فرعون"مسرفٌ، أي: في القتل والفساد، كذابٌ في ادعاء الربوبية، لا يهديه الله تعالى سبيل الصواب ومنهاج النجاة"[٧]، فقد أوهم أنه يريد بالمسرف موسى موسى وهو يريد به فرعون، وهو من جميل الإيهام، ومن ثَمَّ يكون تمام الوقف على ﴿ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾، وهذا هو رأي الأشموني[٨] وأبي يحيى زكريا الأنصاري[٩]، فقد جعلا الوقف على ﴿ يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ﴾ وقفًا

---

(١) المكتفى ص٤٩٣

(٢) انظر: المحرر الوجيز ٥٥٦/٤

(٣) انظر: تفسير الرازي ٦٠/٢٧

(٤) انظر: روح المعاني ٦٥/٢٤

(٥) فتح القدير ص١٣٠٠، وانظر: الكشاف ٣٤٤/٥، وتفسير الرازي ٦٠/٢٧، وتفسير البيضاوي ٥٦/٥، ووتفسير أبي السعود ١٥/٥، وروح المعاني ٦٥/٢٤

(٦) تفسير الرازي ٦٠/٢٧

(٧) روح المعاني ٦٥/٢٤

(٨) انظر: منار الهدى ص٣٣٨

(٩) المقصد لتلخيص ما في المرشد ص٣٣٨

حسنا، لا يجوز الابتداء بما بعده، وأنَّ انقطاع اللفظ عند قوله ﴿مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾، وعلى هذا الرأي جمع من النحاة والمفسرين(١).

(٣) يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ {الزخرف: ٦٣ – ٦٤}

السياق يتحدث عما قاله عيسى عليه السلام لبني إسرائيل حين جاءهم بالمعجزات، وبيان لما جاء به من الشريعة وتوضيح أمو الدين واعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع، قال: ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ﴾ ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾، وهذا لا خلاف فيه، وإنما الخلاف في جملة ﴿هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ كلام مَن؟، هل هو من تمام كلام عيسى عليه السلام، في محل نصب، والكلام متصل، أم هو استئناف كلام من الله تعالى، لا محل له، والوقف على ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾؟

يرى ابن الأنباري(٢) وابن عطية(٣) والثعالبي(٤) أنَّ جملة ﴿هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ من تمام كلام عيسى عليه السلام قالوا:"وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ حكاية عن عيسى عليه السلام إذ أشار إلى شرعه"(٥)، فعيسى عليه السلام "يقول: هذا الذي أمرتكم به من اتقاء الله وطاعتي، وإفراد الله بالألوهة، هو

(١) انظر على سبيل المثال: الطبري (تفسير الطبري٢٠/٣١٣)، والبيضاوي (تفسير البيضاوي٥/٥٦)، وأبو السعود(تفسير أبي السعود٥/١٥)، والشوكاني (فتح القدير ص١٣٠٠)

(٢) انظر: إيضاح الوقف والابتداء ٢/٨٨٦

(٣) انظر: المحرر الوجيز ٥/٦٢

(٤) انظر: تفسير الثعالبي ٥/١٨٨

(٥) المحرر الوجيز ٥/٦٢، وانظر أيضا: تفسير الثعالبي ٥/١٨٨

الطريق المستقيم، وهو دين الله الذي لا يقبل من أحد من عباده غيره"[١]، وهو ظاهر كلام الطبري[٢] أيضا، وابن الأنباري يجعل الوقف حسنا عند ﴿فَٱعۡبُدُوهُ﴾[٣]، فلا يجوز الابتدا بما بعده لتعلقه به لفظا ومعنى، فهو من تمام كلام عيسى عليه السلام.

ويرى أبو جعفر النحاس[٤] وأبو عمرو الداني[٥] والأشموني[٦] أنَّ جملة ﴿هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾ من كلام الله تعالى على جهة الاستئناف، والتذييل المقرِّر لما قاله عيسى عليه السلام ، فقد جعلوا الوقف كافيا على ﴿فَٱعۡبُدُوهُ﴾. وتبعهم في هذا أبو يحيى زكريا الأنصاري[٧].

وجوَّز الوجهين البيضاوي[٨] وأبو السعود[٩] والآلوسي[١٠]، قالوا:"وهو إما من تتمة كلام عيسى عليه السلام، أو استئناف من الله تعالى، مقرِّر لمقالة عيسى عليه السلام"[١١]، ودالٌّ "على ما هو المقتضي للطاعة في ذلك"[١٢]

والسؤال الآن: هل يمكن أن يكون قولُ الله تعالى السابقُ على هذه الآية بآيتين – وهو من كلامه تعالى يقينا –: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا

(١) تفسير الطبري ٦٣٧/٢٠

(٢) انظر: تفسير الطبري ٦٣٧/٢٠

(٣) انظر: إيضاح الوقف والابتداء ٨٨٦/٢

(٤) انظر: القطع والائتناف ٨٨٦/٢

(٥) انظر: المكتفى ص٥١٠

(٦) انظر: منار الهدى ص٣٥١

(٧) انظر: المقصد ص٣٥١

(٨) انظر: تفسير البيضاوي ٩٥/٥

(٩) انظر: تفسير أبي السعود ٩٣/٥

(١٠) انظر: روح المعاني ٩٧/٢٥

(١١) روح المعاني ٩٧/٢٥، وانظر أيضا: تفسير أبي السعود ٩٣/٥

(١٢) تفسير البيضاوي ٩٥/٥

وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴾ {الزخرف: ٦١}، هل يمكن أن يكون مرجحا للقطع والاستئناف في هذه الآية أيضا حملا على التشابه وموافقة النظم للنظم؟

أو هل يمكن أن تكون آية يس – وهي من كلام الله تعالى يقينا – :﴿ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴾{يس: ٦٠ – ٦١}، هل يمكن أن تكون مرجحا للقطع والاستئناف في هذه الآية أيضا حملا على التشابه وموافقة النظم للنظم؟

الراجح نعم، يحمل كلام المحتمل والمشكوك فيه على كلام اليقين و المجزوم به.

أضف إلى هذا أيضا مرجحًا آخر، وهو آية مريم، فهي تحكي القصة نفسها عن عيسى عليه السلام، ففيها الخلاف نفسُه الذي في هذه الآية، يقول تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴾ {مريم: ٣٦}، عطفا على قوله:﴿ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ﴾ {مريم: ٣٠}، لكنَّ أكثر علماء الوقف والابتداء حسموا الخلاف فيها باتفاقهم على تمام الوقف على ﴿ فَٱعۡبُدُوهُۚ ﴾[1]، ثم استئناف كلام جديد من الله تعالى على وجه التقرير لما قاله عيسى عليه السلام، فالكلام من عيسى والتذييل من الله، والمعنى إنَّ القول بالتوحيد ونفيَ الولد والصاحبة هو الصراط المستقيم الذي يُفضي بقائله ومعتقده إلى النجاة.

(٤) يقول تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴾ {الكهف: ٢١}

يتحدث السياق عن أصحاب الكهف الذين ناموا ثلاثمائة سنة وتسعا وحُفظت أجسادهم، ولما كان أهل البلد يتنازعون في شأن البعث والحياة الآخرة

---

(١) انظر: القطع والائتناف ٤٠٠/١، وإيضاح الوقف والابتداء ٧٦٥/٢، والمكتفى في الوقف والابتدا ص٣٧٥، ومنار الهدى ص٢٣٨، والمقصد ص٢٣٨

هل هي بالأجسام والأرواح أو بالأرواح دون الأجسام؟ أعثرنا عليهم أهلَ بلدهم في ذلك الوقت أحياء فرأوا ما رأوا ثم ماتوا ليتبين لهم بهذه الحادثة أنّ البعث حق وأنه بالأجسام والأرواح معًا، واختلف الحاضرون في أمرهم، فقال الكفار وكانوا قلة: ابنوا عليهم بنيانا؛ لئلا يتطرق إليهم الناس، وللاعتناء بهم والحفاظ عليهم، وقال المسلمون وكانوا كثرة غالبة والملك مسلم: ابنوا عليهم مسجدا، هذا السياق لا خلاف فيه، إنما الخلاف في قوله ﴿ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ﴾ كلام من؟ هل هو من كلام الكفار، داخل في مقول القول، في محل نصب، والوقف على ﴿ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ﴾ أم هو كلام جديد، من الله تعالى، لا محل له، والوقف على ﴿ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ﴾؟

جوَّزَ الوجهين الزمخشري[1] والرازي[2] والنسفي[3] وأبو السعود[4]، قالوا:" ﴿ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ﴾ من كلام المتنازعين كأنهم تذاكروا أمرهم وتناقلوا الكلام في أنسابهم وأحوالهم ومدة لبثهم، فلمَّا لم يهتدوا إلى حقيقة ذلك قالوا: ربُّهم أعلم بهم"[5]، فهو داخل تحت القول، والمعنى أنهم"أُمروا بالبناء وأخبروا بمضمون هذه الجملة"[6]، والمراد "التنهية للتنازع في أمرهم"[7]، أو "هو من كلام الله عز وجل ردّ لقول الخائضين في حديثهم من أولئك المتنازعين، أو من الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله ﷺ من أهل الكتاب"[8]، فهي جملة معترضة من كلام الله تعالى أثناء حكاية تنازع الذين أعثروا عليهم، والمعنى "دَعُوا ما

(١) انظر: الكشاف ٥٧٥/٣
(٢) انظر: تفسير الرازي ١٠٦/٢١
(٣) انظر: تفسير النسفي ٢٩٣/٢
(٤) انظر: تفسير أبي السعود ٥١١/٣
(٥) الكشاف ٥٧٥/٣
(٦) البحر المحيط ١٠٨/٦
(٧) التحرير والتنوير ٢٨٩/١٥
(٨) الكشاف ٥٧٥/٣

أنتم فيه من التنازع فإني أعلم بهم منكم"[1]، وعلى هذا الرأي جمع من النحاة والمفسرين[2].

واستظهر أبوحيان[3] والآلوسي[4] الوجه الأول، يقول الآلوسي:"والظاهر أنه أنه حكاية عن المعثرين وهو شديد الملاءمة جدا لكون التنازع في أمرهم من الموت والحياة"[5]، فالوجه الثاني عنده "لا يخلو عن بعد"[6] كما يقول الآلوسي. الآلوسي.

وظاهر كلام علماء الوقف أنهم مع الوجه الأول أيضا، فيرون أنَّ التمام على﴿ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ﴾[7]، وأنَّ الوقف على﴿ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ﴾ وقفٌ حسنٌ؛؛ حسنٌ؛؛ لاتصال ما بعده لفظا به، وهو الأرجح والأظهر.

(٥) يقول تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ {الفرقان: ٦٥ – ٦٦}

يتحدث السياق عن أوصاف عباد الرحمن، فذكر أولا مشيهم في سكينة ووقار، ثم قولهم: ربنا اصرف عنا عذاب جهنم، وهذا لا خلاف فيه، وإنما الخلاف في قوله﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾

---

(١) فتح القدير ص٨٥٤

(٢) انظر على سبيل المثال: البيضاوي (تفسير البيضاوي٣/٢٧٧) وأبو حيان (البحر المحيط٦/١٠٨، ١٠٩) والسمين (الدر المصون٧/٤٦٥) والخطيب الشربيني (السراج المنير٢/٢٨٤) والشوكاني (فتح القدير ص٨٥٤) الآلوسي (روح المعاني١٥/٢٣٥) وابن عاشور (التحرير والتنوير١٥/٢٨٩)

(٣) انظر: البحر المحيط ٦/١٠٨

(٤) انظر: روح المعاني ١٥/٢٣٦

(٥) روح المعاني ١٥/٢٣٥

(٦) روح المعاني ١٥/٢٣٦

(٧) انظر: القطع والائتناف ٣٨٧/١، وإيضاح الوقف والابتداء ٧٥٦/٢، والمكتفى ص٣٦٨، ومنار الوقف والابتدا ص٢٣٠، والمقصد ص٢٣٠

كلام من؟ هل هو من كلام عباد الرحمن، من مقول القول، في محل نصب، والوقف على ﴿مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ أم هو من كلام الله تعالى، استئناف جديد، لا محل له، وانتهى كلام عباد الرحمن عند ﴿رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ والوقف عليه أيضا؟

وهل يجوز أن تكون جملة ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ من كلام عباد الرحمن، والوقف عليها، وجملة ﴿إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ وحدها من كلام الله؟ الجميع قد قيلَ.

يرى ابن الأنباري[1] والزركشي[2] وأبو السعود[3] وأبو يحيى زكريا الأنصاري[4] أنَّ جملة ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ وجملة ﴿إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ من تمام قول عباد الرحمن، والوقف على ﴿إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ ويكون النظم قد دلَّ على "أنهم سألوا الله تعالى أن يصرف عنهم عذاب جهنم لعلتين، إحداهما: أنَّ عذابها كان غرامًا، وثانيهما: أنَّها ساءت مستقرا ومقاما"[5]، ودلالة "ترك العطف للإشارة إلى أنَّ كلا منهما مستقل بالعلية"[6]. وهذا الوجه قد استظهره أبوحيان[7] والآلوسي[8].

ولم يرى البحث رأيا يرى جعلَ الجملتين من كلام الله تعالى قولا واحدا، أو الوقف على ﴿رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾، وإنَّما جوَّزه مع الرأي السابق

(١) انظر: إيضاح الوقف والابتداء ٨١١/٢

(٢) انظر: البرهان ٩٧/٣

(٣) انظر: تفسير أبي السعود ١٩٤/٤

(٤) انظر: المقصد ص٢٧٦

(٥) تفسير الرازي ١٠٩/٢٤

(٦) روح المعاني ٤٥/١٩

(٧) انظر: البحر المحيط ٤٧٠/٦

(٨) انظر: روح المعاني ٤٥/١٩

الزمخشري[١] والبيضاوي[٢] والنسفي[٣] والشوكاني[٤]، ويكون النظم حينئذ دالا دالا على أنَّ عباد الرحمن قد سألوا الله أن يبعد عنهم النارَ، ثم علّل الله تعالى كلامهم بعلتين على وجه الاستئناف والخبر، وتكون الجملتان بمثابة الاعتراض بين الموصولين، وعلى هذا الرأي جمعٌ من النحاة والمفسرين[٥].

ويرى وجها ثالثا أبو عمرو الداني[٦] والأشموني[٧] والآلوسي[٨] وابن عاشور[٩]، وهو أن جملة ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ من كلام عباد الرحمن، والوقف عليها، وأن جملة ﴿ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ استئناف جديد، تذييل من كلام الله تعالى، وكأنه لما عللوا طلب صرف جهنم عنهم بأن عذابها كان غراما، جاء كلام الله تعالى تأييدا لكلامهم ومؤكدا له، قالوا:"﴿ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ يجوز أن تكون حكاية لكلام القائلين فتكون تعليلا ثانيا مؤكّدا لتعليلهم الأول، وأن تكون من جانب الله تعالى دون التي قبلها فتكون تأييدا لتعليل القائلين"[١٠]

---

(١) انظر: الكشاف ٣٧٠/٤

(٢) انظر: تفسير البيضاوي ١٣٠/٤

(٣) انظر: تفسير النسفي ٥٤٨/٢

(٤) انظر: فتح القدير ص١٠٤٨

(٥) انظر على سبيل المثال: الرازي (تفسير الرازي١٠٩/٢٤) وأبوحيان (البحر المحيط٤٧٠/٦) والأشموني (منار الهدى ص٢٧٦) والآلوسي (روح المعاني٤٥/١٩) وابن عاشور (التحرير والتنوير ٧١/١٩)

(٦) انظر: المكتفى ص٤١٩

(٧) انظر: منار الهدى ص٢٧٦، يقول الأشموني:"(غراما) كاف إن لم يجعل ما بعده من تمام كلام القوم، وليس بوقف إن جُعل من كلامهم"

(٨) انظر: روح المعاني ٤٥/١٩

(٩) انظر: التحرير والتنوير ٧١/١٩

(١٠) التحرير والتنوير ٧١/١٩

لا يظن البحث أنّ أحدا من عباد الرحمن يستعيذ من النار معللا استعاذته بعلة من هاتين العلتين أو بهاتين العلتين معا، والراجح – والله أعلم – أن طلبهم هو صرف النار عنهم، وأنهم قالوا ﴿رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ فحسب، والتعليل من قبل الله تعالى.

(٦) يقول تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ {يس: ٤٧}

يتحدث السياق عن مخاطبة كفار مكة لأجل إطعام فقراء المسلمين، فيقول الكفار للمسلمين استهزاء بهم: أنطعم من لو يشاء الله أطعمه، هذا لا خلاف فيه، وإنما الخلاف في قوله: ﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ كلامُ من؟ هل هو من تمام كلام الكفار، في محل نصب، والوقف على ﴿فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ أم هو استئناف من الله تعالى، لا محل له، والوقف على ﴿أَطۡعَمَهُۥٓ﴾؟

يرى الواحدي[1] أنَّ قوله ﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ استئناف كلام من من الله تعالى، لا محل له، يقول الواحدي:"كانوا يقولون استهزاء: ﴿أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ﴾، فقال الله تعالى: ﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾"[2]، والمراد من (أنتم) هنا خطاب الكافرين حين ردوا بهذا الجواب، فاستأنف الله تعالى الكلام "زجر به الكفرة وجهلهم به"[3]، أي: قل لهم يا محمد: إن أنتم إلا في ضلال مبين، والوقف على ﴿أَطۡعَمَهُۥٓ﴾. يقول الزمخشري:"كانت الزنادقة منهم يسمعون المؤمنين يعلقون أفعال الله تعالى بمشيئته فيقولون: لو شاء الله

---

(١) انظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت:٤٦٨هـ)، تحقيق/ صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٥هـ ت ١٩٩٥م، ص٩٠١

(٢) الوجيز ص٩٠١

(٣) روح المعاني ٢٣/٣٠

لأغنى فلانا، ولو شاء لأعزّه، ولو شاء لكان كذا؛ فأخرجوا هذا الجواب مخرج الاستهزاء بالمؤمنين وبما كانوا يقولونه من تعليق الأمور بمشيئة الله، ... وعن ابن عباس رضي الله عنهما: كان بمكة زنادقة، فإذا أمروا بالصدقة على المساكين قالوا : لا والله، أيفقره الله ونطعمه نحن؟"(١)، فكان الرد منه تعالى، يقول السمرقندي:"وروي عن ابن عباس مثل هذا"(٢)

ويرى أبو جعفر النحاس(٣) والرازي(٤) والأشموني(٥) وأبو يحيى زكريا الأنصاري(٦) أنَّ جملة ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ من تمام كلام الكفار، في محل نصب مقول القول، فالضمير (أنتم) المراد به المؤمنين؛ لأنَّ الجملة "من قول المشركين يخاطبون المؤمنين، أي ما أنتم في قولكم: ﴿أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ وما في معناه من اعتقاد أنَّ الله متصرف في أحوالنا إلا متمكن منكم الضلال الواضح، وجعلوه ضلالا لجهلهم بصفات الله، وجعلوه مبينا؛ لأنهم يحكمون الظواهر من أسباب اكتساب المال وعدمه، والجملة تعليل للإنكار المستفاد من الاستفهام"(٧)، يقول الرازي معللا وصف الكفار المؤمنين بالضلال:"إنَّهم إنَّما وصفوا الذين آمنوا بكونهم في ضلال مبين لكونهم ظانين أنَّ المؤمن كلامه متناقض، ومَن تناقضَ كلامه يكون في غاية الضلال، إنما قلنا ذلك لأنهم قالوا: ﴿ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ إشارة إلى أن الله إن شاء أن يطعمهم كان يطعمهم، فلا نقدر على إطعامهم؛

(١) الكشاف ١٨١/٥، وانظر: أيضا: الجامع لأحكام القرآن ٣٧/١٥، والبحر المحيط ٣٢٤/٧، ٣٢٥

(٢) بحر العلوم ١٠٢/٣

(٣) انظر: القطع والائتناف ٥٨١/٢

(٤) انظر: تفسير الرازي

(٥) انظر: منار الهدى ص٣٢٠

(٦) انظر: المقصد ص٣٢٠

(٧) التحرير والتنوير ٣٣/٢٣

لأنه يكون تحصيلا للحاصل، وإن لم يشأ الله إطعامهم لا يقدر أحد على إطعامهم لامتناع وقوع ما لم يشأ الله، فلا قدرة لنا على الإطعام، فكيف تأمروننا بالإطعام؟"[١]، فلما أساءوا الفهم[٢] قالوا: ﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾، "حيث تأمروننا بما يخالف مشيئة الله"[٣]، و"طلبتم أن تُطعموا من لا يريد الله إطعامه؛ إطعامه؛ إذ لو أراد الله إطعامه لأطعمه هو"[٤]، فما أنتم أيها المؤمنون "إلا في في خطأ بين في اتباعكم محمدا ﷺ وترك ما نحن عليه"[٥]، فالكلام على هذا متصل، وهذا المعنى هو ما جعل الأشموني يحكي إجماعا على عدم الوقف على الوقف ﴿أَطۡعَمَهُۥٓ﴾قال:"﴿أَطۡعَمَهُۥٓ﴾ليس بوقف، لأن ما بعده من تمام الحكاية؛ لأنَّ البخلاء من الكفار قالوا: أفقره الله ونطعمه نحن، فحينئذ لا وقف من قوله ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ أَنفِقُواْ﴾ إلى ﴿مُّبِينٖ﴾ إجماعا"[٦]، وهو محجوج بما قاله الموجوزون للانقطاع هنا.

وقد استظهر وجه الاتصال هذا الطبري[٧] وأبو حيان[٨] والآلوسي[٩]، وعلى هذا الوجه أيضا بعض آخر من النحاة والمفسرين[١٠].

(١) تفسير الرازي ٢٦/ ٨٥، ٨٦

(٢) لم يعلموا أن الله يطعم بأسباب.

(٣) تفسير أبي السعود ٤/٥٠٨

(٤)(٤) البحر المحيط ٣٢٥/٧

(٥) تفسير البغوي، للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت:٥١٦هـ)، تحقيق/ محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ٧/ ٢٠

(٦) منار الهدى ص٣٢٠

(٧) انظر: تفسير الطبري ٤٥٠/١٩

(٨) انظر: البحر المحيط ٣٢٥/٧

(٩) انظر: روح المعاني ٣٠/٢٣

(١٠) انظر على سبيل المثال: البغوي (تفسير البغوي٢٠/٧) وابن عاشور (التحرير والتنوير٣٣/٢٣)

وجوَّز الوجهين الطبري[١] والزمخشري[٢] وابن عطية[٣] والبيضاوي[٤]، والبيضاوي[٤]، قالوا:"وفي قوله: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ وجهان، أحدهما: أحدهما: أن يكون من قيل الكفار للمؤمنين، فيكون تأويل الكلام حينئذ: ما أنتم أيها القومُ في قيلكم لنا: أنفقوا مما رزقكم الله على مساكينكم، إلا في ذهاب عن الحق، وجور عن الرشد، مُبينٍ لمن تأمّله وتدبّره أنه في ضلال ... والوجه الآخر: أن يكون ذلك من قيل الله للمشركين، فيكون تأويله حينئذ: ما أنتم أيها الكافرون في قيلكم للمؤمنين: أنطعم من لو يشاء الله أطعمه، إلا في ضلال مبين، عن أن قيلكم ذلك لهم ضلال"[٥]، وعلى هذا الجواز جمع من النحاة والمفسرين[٦].

(٧) يقول تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ {يس: ٥١ – ٥٢}

يتحدث السياق عن يوم القيامة والنفخة الثانية لموقف القيامة، فعند النفخ في الصور يخرجون من قبورهم ماشين مسرعين إلى ربهم لفصل القضاء والحكم بينهم فيما اختلفوا فيه في هذه الحياة الدنيا من إيمان وكفر وإحسان وإساءة

(١) انظر: تفسير الطبري ١٩/٤٥٠
(٢) انظر: الكشاف ٥/١٨١
(٣) انظر: المحرر الوجيز ٤/٤٥٦
(٤) انظر: تفسير البيضاوي ٤/٢٦٩، ٢٧٠
(٥) تفسير الطبري ١٩/٤٥٠
(٦) انظر على سبيل المثال: السمرقندي (بحر العلوم٣/١٠٢) والقرطبي (الجامع لأحكام القرآن١٥/٣٧) والنسفي (تفسير النسفي٣/١٠٦) وابن جزي (التسهيل٢/٢٢٥، ٢٢٦) وأبو حيان (البحر المحيط٧/٣٢٥) والثعالبي (تفسير الثعالبي٥/١٥) وأبو السعود (تفسير أبي السعود٤/٥٠٨) وابن عجيبة (البحر المديد٦/٢٣١) والشوكاني (فتح القدير ص١٢٢٦) والآلوسي (روح المعاني ٢٣/٣٠)

وعدل وظلم، فيقولون:يا ويلنا، لما شاهدوا من أهوال الموقف ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾، هذا لا خلاف فيه، وإنما الخلاف في قوله:﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ كلام من؟ هل هو من تمام كلام الكافرين، في محل نصب، والوقف على ﴿وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ أم هو استئناف كلام من الله تعالى، لا محل له، والوقف على﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾؟

يرى الواحدي(١) أنَّ جملة ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ من تمام كلام الكافرين، في محل نصب، والكلام موصول، قال:"ثم يقولون: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ أقروا حين لم ينفعهم"(٢)، الإقرار، والمعنى أنهم "لما رأوا البعث والنشور الذي كانوا يكذبون به في الدنيا قالوا: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾"(٣)، أو "أنَّ الكفار لما قال بعضهم لبعض: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ صدقوا الرسل لما عاينوا ما أخبروهم به، ثم قالوا: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ فكذبنا به"(٤)، فـ"يتذكرون ما سمعوه من الرسل عليهم الصلاة والسلام، فيجيبون به أنفسهم أو بعضُهم بعضًا "(٥)، "فيجوز أن يكونوا يقولون ذلك كما يتكلم المتحسّر بينه وبين نفسه، وأن يقوله بعضهم لبعض، كلٌّ يظن أن صاحبه لم يتفطن للسبب فيريد أن يعلمه به"(٦)، ونسب البغوي هذا الرأي إلى أهل المعاني، فقال:"وقال أهل المعاني: إنّ الكفار إذا عاينوا جهنم وأنواع عذابها صار عذاب القبر في

(١) انظر: الوجيز ص٩٠٢
(٢) الوجيز ص٩٠٢
(٣) المحرر الوجيز ٤٥٨/٤
(٤) الجامع لأحكام القرآن ٤٢/١٥
(٥) تفسير أبي السعود ٥١٠/٤، وانظر أيضا: الكشاف ١٨٢/٥، وتفسير النسفي ١٠٧/٣، ١٠٧/٣، والبحر المديد ٢٣٣/٦، وروح المعاني ٣٣/٢٣
(٦) التحرير والتنوير ٣٨/٢٣

جنبها كالنوم، فقالوا: ﴿يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾؟ ثم قالوا: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ أقروا حين لم ينفعهم الإقرار"[1]، وهو قول ابن زيد[2] أيضا.

سيرتضي البحث هنا أمرا شكليا، وهو أن بعض النحاة والمفسرين يرون القطع في هذه الآية والابتداء بقوله ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ لكنهم اختلفوا في نسبة هذا الكلام، مَن قاله؟ فبعض المفسرين جعلوه من كلام المؤمنين وبعضهم جعلوه من كلام الملائكة وبعضهم جعلوه من كلام الله تعالى، والقاسم المشترك لهذا كله أنه ليس من كلام الكافرين، وأنه استئناف جديد، وسيرتضي البحث أن هذا كله من قبيل واحد، وهو أنه ليس من كلام الكافرين، وسيرى أن كل من رأى رأيا من هذا فهو من كلام الله تعالى، على أنه هو القائل الفعلي أو الآمر بذلك، فالمقابل لكونه من كلام الكافرين أنه من كلام الله، وسيصنف البحث كلامه الآتي بناء على هذه الرؤية.

يرى أبو جعفر النحاس[3] ومكي[4] والزركشي[5] والسيوطي[6] أنَّ جملة جملة ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ استئناف من كلام الله

---

(١) تفسير البغوي ٢١/٧

(٢) انظر: تفسير الطبري ٤٥٨/١٩، والمحرر الوجيز ٤٥٨/٤، والبحر المحيط ٣٢٦/٧، وتفسير الثعالبي ١٦/٥، وروح المعاني ٣٣/٢٣، وقد روي الإدراج فيها عن الإمام حفص. انظر: النشر ٣٣٠/١

(٣) انظر: إعراب القرآن ٤٠٠/٣، ومعاني القرآن للنحاس ٥٠٥/٥، ٥٠٦، والقطع والائتناف ٥٨١/٢، ٥٨٢

(٤) انظر: مشكل إعراب القرآن، لمكي بن أبي طالب القيسي (ت:٤٣٧هـ)، تحقيق/ ياسين ياسين محمد السواس، دار المأمون للتراث، دمشق، ط٢، ٢٣٠/٢

(٥) انظر: البرهان ٣٤٥/١، ٢٩٤/٣

(٦) انظر: الإتقان ص٥٨٢

تعالى، لا محل له، جوابا لهم، "على جهة التوبيخ"(١)، فهو "جواب يتضمن بيان مَن بعثهم مع تنديمهم على تكذيبهم به في الحياة الدنيا حين أبلغهم الرسل ذلك عن الله تعالى"(٢)، وهذا الوجه قد استظهره الطبري(٣) وأبو حيان(٤)، يقول الطبري:"هو أن يكون من كلام المؤمنين؛ لأن الكفار في قيلهم ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَا ﴾ دليل على أنهم كانوا بمن بعثهم من مَرْقَدهم جُهَّالا ولذلك من جهلهم استثبتوا، ومحال أن يكونوا استثبتوا ذلك إلا من غيرهم، ممن خالفت صفته صفتهم في ذلك"(٥)، ويجاب عنه بما قيل قبلُ بأنهم يستذكرون ما سمعوه من الرسل في الدنيا. وهذا هو قول ابن عباس والحسن(٦) أيضا، وعلى هذا الرأي جمع من النحاة والمفسرين(٧).

وجوّز الوجهين الزمخشري(٨) والنسفي(٩) والسمين(١٠) وابن عاشور(١١)، قالوا:"وهذه الجملة حينئذ فيها وجهان، أحدهما: أنها مستأنفة، إما من قول الله تعالى أو من قول الملائكة أو من قول المؤمنين، الثاني : أنها من كلام الكفار

(١) المحرر الوجيز ٤٥٨/٤

(٢) التحرير والتنوير ٣٨/٢٣، ٣٩

(٣) انظر: تفسير الطبري ٤٥٨/١٩

(٤) انظر: البحر المحيط ٣٢٦/٧

(٥) تفسير الطبري ٤٥٨/١٩، ٤٥٩

(٦) انظر: إيضاح الوقف والابتداء ٨٥٣/٢، ٨٥٤

(٧) انظر على سبيل المثال: الفراء (معاني القرآن٣٨٠/٢) وابن الأنباري (إيضاح الوقف والابتداء٨٥٣/٢) والسمرقندي (بحر العلوم ١٠٢/٣) وابن الجزري (النشر ٣٣٠/١) والأشموني (منار الهدى ص٣٢٠) والكفوي (الكليات ١١١/١) والوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى ص١٢٢

(٨) انظر: الكشاف ١٨٢/٥

(٩) انظر: تفسير النسفي ١٠٧/٣

(١٠)(١٠) انظر: الدر المصون ٢٧٥/٩، ٢٧٦

(١١) انظر: التحرير والتنوير٣٨/٢٣

فتكون في محل نصب بالقول"[١]، وعلى هذا الجواز جمع من النحاة والمفسرين[٢]حتى قال أبو عمرو الداني:"﴿مِن مَّرۡقَدِنَا﴾ تام، وهو قول جميع أصحاب التمام من القراء والنحويين"[٣]، وذكر ابن عطية والثعالبي أنَّ الابتداء الابتداء بقوله:﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ هو قول الجمهور[٤].

---

(١) السراج المنير ٢٩٣/٣، وانظر أيضا: الدر المصون ٢٧٥/٩، ٢٧٦

(٢) انظر على سبيل المثال: الطبري (تفسير الطبري٤٥٨/١٩) أبو عمرو الداني (المكتفى (المكتفى ص٤٧٣، ٤٧٤) والبغوي (تفسير البغوي٢١/٧) ابن عطية (المحرر الوجيز ٤٥٨/٤) والقرطبي (الجامع لأحكام القرآن٤٢/١٥) والبيضاوي (تفسير البيضاوي٢٧٠/٤) وابن جزي (التسهيل٢٢٦/٢) وأبو حيان (البحر المحيط٣٢٦/٧) والثعالبي (تفسير الثعالبي١٦/٥) والخطيب الشربيني (السراج المنير٢٩٣/٣) وأبو السعود (تفسير أبي السعود٥١٠/٤) وابن عجيبة (البحر المديد٢٣٣/٦) والشوكاني (فتح القدير ص١٢٢٧) والآلوسي (روح المعاني٣٣/٢٣)

(٣) المكتفى ص٤٧٣

(٤) انظر: المحرر الوجيز ٤٥٨/٤، وتفسير الثعالبي ١٦/٥

المطلب الرابع

تذييل الجملة بين مقول القول ووجوه إعرابية أخرى

(١) يقول تعالى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٥٠ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴾ {الأعراف: ٥٠ – ٥١}

يتحدث السياق عن الحوار الذي دار بين أهل الجنة وأهل النار يوم القيامة بعد أن استقر بكل من الفريقين القرار، لمَّا طلب أهل النار من أهل الجنة الماء والطعام، قالوا: إنَّ الله حرمهما على الكافرين، هذا السياق لا خلاف فيه، وإنما الخلاف في تذييل قول أهل الجنة ونهايتِه، هل جملة ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا ﴾ من تذييل كلام أهل الجنة، على وجه النعت للـ(الكافرين)، والوقف على ﴿وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا ﴾ أم هو استئناف كلام جديد، إخبار من الله تعالى، لا محل له، والوقف على ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾؟

يرى الطبري[١] وأبو جعفر النحاس[٢] والشوكاني[٣] أن قوله ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا ﴾ من تذييل كلام أهل الجنة، و﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ في محل جر نعت للكافرين، فالكلام متصل، والوقف على ﴿وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا ﴾، يقول أبو جعفر النحاس:"﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ ليس بتمام، لأنّ ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا ﴾ نعت للكافرين"[٤]، أي: هم الذين بنوا أمر دينهم على التشهِّي، وتدَّينوا بما لا يعود عليهم بنفع، عاجلًا

(١) انظر: تفسير الطبري ٢٠٦/١٠

(٢) انظر: القطع والائتناف ٢٥٤/١

(٣) انظر: فتح القدير ص٤٧٧

(٤) القطع والائتناف ٢٥٤/١

وآجلًا، وغرتهم الحياةُ الدينا بزخرفها، حتى نسُوا البعث وأنكروه، فحرموا وأحلوا ما شاءوا.

وقوله ﴿ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ استئناف كلام من الله تعالى يسمعه الفريقان، "فهو عطف كلام متكلّم على كلام متكلّم آخَر، وتقدير الكلام: فقال الله: اليوم ننساهم، فحذف فعل القول"[١]، ويكون "تغيير أسلوب الكلام هو القرينة على اختلاف المتكلّم"[٢]، فكلام الله على هذا تصديق لكلام أصحاب الجنّة السابق[٣]، وعلى هذا الرأي جمع من النحاة والمفسرين[٤]؛ ولذلك قال الآلوسي:"وظاهر كلام كثير من المفسرين أنّ كلام أهل الجنة إلى ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾ لا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ فقط"[٥]، وقد استظهره ابن عاشور[٦].

وظاهر كلام ابن الأنباري[٧] والأشموني[٨] أنَّ قوله ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾ استئناف كلام من الله تعالى، لا محل له، و﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ مبتدأ خبره ﴿ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ ﴾، ودخلت الفاء في

(١) التحرير والتنوير ١٥٠/٨

(٢) التحرير والتنوير ١٥٠/٨

(٣) انظر: التحرير والتنوير ١٥٠/٨

(٤) انظر على سبيل المثال: ابن الأنباري (إيضاح الوقف والابتداء٦٥٧/٢) والسمرقندي (بحر العلوم٥٤٤/١) وأبو عمرو الداني (المكتفى ص٢٧٢) والرازي (تفسير الرازي٩٩/١٤) والقرطبي (الجامع لأحكام القرآن٢١/٧) وأبو حيان (البحر المحيط٣٠٧/٤) والثعالبي (تفسير الثعالبي٣٦/٣) وابن عاشور (التحرير والتنوير١٤٩/٨)

(٥) روح المعاني ١٢٧/٨

(٦) انظر: التحرير والتنوير١٤٩/٨، ١٥٠

(٧) انظر: إيضاح الوقف والابتداء ٦٥٧/٢

(٨) انظر: منار الهدى ص١٤٦

الخبر "لتشبيه اسم الموصول بأسماء الشرط"[1] كقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَـٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَا ﴾{النساء: ١٦} وكقولك: الذي يأتيني فله درهم. فد جعلا الوقف على ﴿وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا ﴾ وقفا حسنا[2]، يجوز الوقف عليه ولا يجوز الابتداء بما بعده، فما بعده خبر المبتدأ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾، ولو كان من كلام أهل الجنة لكان الوقف كافيا كما ذكر أبو عمرو الداني[3] وأبو يحيى زكريا الأنصاري[4].

وجوز الوجهين ابن عطية[5] والأشموني[6] وأبو يحيى زكريا الأنصاري[7] الأنصاري[7] والآلوسي[8] وابن عاشور[9]، يقول أبو يحيى الأنصاري:"﴿عَلَى ٱلۡكَـٰفِرِينَ ﴾ تام، إنْ جعل ما بعده مبتدأ خبره ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ ﴾، وليس

---

(١) التحرير والتنوير ١٤٩/٨

(٢) المفارقة العجيبة هنا أن ابن الأنباري والأشموني قد خالف كل واحد منهما كلامه، فابن فابن الأنباري ذكر أولا أن (الذين اتخذوا دينهم) نعت للـ(الكافرين) فيكون الوقف على (الحياة الدنيا) كافيا ويصح الابتاداء بما بعده، فكيف يجعل الوقف على (الحياة الدنيا) حسنا لا يجوز الابتداء بما بعده؟ إلا إذا رأى وجه الابتداء والخبر، والأشموني جوَّزَ الوجهين إما على النعت، والكلام متصل، وإما على الاستئناف (الذين) مبيتدأ و(فاليوم ننساهم) خبره، فهل جعله الوقف حسنا اختيار للوجه الثاني وترجيح له أم كان عليه أن ينوع الوقف على (الحياة الدنيا) بناءً على الوجهين المتقدمين؟ فيقول مثلا: (الحياة الدنيا) حسن على الوجه الثاني وكاف على الوجه الأول.

(٣) انظر: المكتفى ص٢٧٢

(٤) انظر: المقصد ص١٤٦

(٥) انظر: المحرر الوجيز ٤٠٧/٢

(٦) انظر: منار الهدى ص١٤٦

(٧) انظر: المقصد ص١٤٦

(٨) انظر: روح المعاني ١٢٧/٨

(٩) انظر: التحرير والتنوير ١٤٩/٨

بوقف إنْ جعل ذلك نعتا للكافرين، بل الوقف على ﴿ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾، وهو كاف"[1]

والسؤال الآن: هل يمكن أن يكون قوله:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ {المائدة: ٥٧}، وقوله:﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ {الأنعام: ٧٠} – يمكن أن يكون مرجحا للقطع والاستئناف، وأنه خبر جديد من الله تعالى على وجه الاستئناف، فالألفاظ متقاربة والكلام فيهما لله تعالى، فيكون كل هذه الألفاظ من كلام الله تعالى؟

الراجح نعم.

(٢) يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ {البقرة: ٢٦}

يتحدث السياق عن أنَّ الله لا يستحيي أن يضرب المثل بأحقر الأشياء وأقلها، "لما ذكر الله تعالى الذباب والبعوض في كتابه، وضرب للمشركين به المثل، ضحكت اليهودُ، وقالوا: مايشبه هذا كلامَ الله، فأنزل الله هذه الآية"[2]، هذا قول قتادة والحسن، وروي عن ابن عباس أنه قال:"لما ضرب الله تعالى هذين المثلين للمنافقين – يعني قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ {البقرة:

---

(١) المقصد ص١٤٦

(٢) أسباب نزول القرآن، للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت:٤٦٨هـ) تحقيق/ كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ص٢٦، ٢٧

١٧}، وقوله: ﴿ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾{ البقرة: ١٩} قال المنافقون: الله أجل وأعلى من أن يضرب الأمثال، فأنزل الله هذه الآية"(١). ففي الآية إخبار من الله تعالى أنه لا يمنعه الاستحياء أن يجعل مثلًا بعوضة فما دونها، فضلا عما هو أكبر، فهو لا يعبأ أن يضرب مثلا بشيء حقير أو غير حقير، ثم بينَ سبحانه أنَّ الناس حيال ما يضرب الله من أمثال، قسمان: مؤمنون يعلمون أنه الحق من ربهم، وكافرون ينكرونها، ويقولون كالمعترضين: ماذا أراد الله بهذا مثلا. وهذا لا خلاف فيه، وإنما الخلاف في قوله:﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗا ﴾ كلامُ مَن؟ هل هو من كلام الكافرين، من تمام كلامهم، في محل نعت لكلمة (مثلا)، والوقف على ﴿مَثَلٗا ﴾ أم هو استئناف جديد من الله تعالى، لا محل له، جواب على سؤالهم المتقدم، والوقف على ﴿كَثِيرٗا ﴾؟

يقول الثعالبي:"واخْتُلِفَ في قوله تعالى: ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗا ﴾ هل هو من قول الكافرين أو خبر من الله تعالى، ولا خلاف أنَّ قوله تعالى: وما يضل به إلا الفاسقين من قوله تعالى"(٢)، وبيان ذلك على النحو الآتي:

يرى الفراء أن جملة ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗا ﴾ من تمام كلام الكافرين، فإنه قال:" قوله: ﴿ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗا ﴾، كأنه قال – والله أعلم – ماذا أراد الله بمثلٍ لا يعرفه كلُّ أحد يُضِلُّ به هذا ويهدى به هذا، قال الله: ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾"(٣)،

---

(١) أسباب نزول القرآن ص٢٦

(٢) تفسير الثعالبي ٢٠٣/١

(٣) معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت:٢٠٧هـ)، تحقيق/ محمد علي النجار، وأحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ٢٣/١، وانظر أيضا: تفسير الطبري ٤٣٢/١، والقطع والائتناف ٤٧/١

فالكلام متصل، في محل نصب نعت لـ(مثلا)، والوقف على ﴿كَثِيرًا ﴾، وذكر أبوحيان أنه قول لبعض المعربين والمفسرين، ولم يستظهره، قال:"واختار بعض المعربين والمفسرين أن يكون قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ في موضع الصفة لـ(مثلا)، وكأن المعنى: مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلا يفرق به الناسَ إلى ضلال وإلى هداية "[١]، أي: "مَثَلاً يُفَرِّقُ الناسَ به، إلى ضُلاَّلٍ ومُهْتَدِين"[٢]، فكأنهم قالوا:"ما مراد الله بهذا المثل الذي يفرق به الناس إلى ضلالة وإلى هدى ؟"[٣].

ويرى الطبري[٤] والرازي[٥] والبيضاوي[٦] وابن عاشور[٧] أنَّ جملة ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ جواب من الله تعالى عن استفهامهم (ماذا أراد الله بهذا مثلا)، فهو "جواب عن تلك المقالة الباطلة ورد لها ببيان أنه مشتمل على حكمة جليلة وغاية جميلة هي كونه ذريعة إلى هداية المستعدين للهداية وإضلال المنهمكين في الغواية"[٨]، يعني إنما ضرب المثل ليضل به كثيرا من الناس يعني يخذلهم ولا يوفقهم للهدى بأن يكذبوا به، ويهدي به كثيرا: يعني يوفق به على معرفة ذلك المثل كثيرا من الناس وهم المؤمنون بأن يصدقوا به[٩]، والمعنى"يوفق ويخذل"[١٠]، أو "يزيد هؤلاء ضلالا إلى ضلالهم،

---

(١) البحر المحيط ٢٧٠/١

(٢) الدر المصون ٢٣٢/١

(٣) المحرر الوجيز ١١٢/١، والجامع لأحكام القرآن ٢٤/١، وفتح القدير ص٤٠

(٤) انظر: تفسير الطبري ٤٣٢/١

(٥) انظر: تفسير الرازي ١٥٠/٢

(٦) انظر: تفسير البيضاوي ٦٣/١

(٧) انظر: التحرير والتنوير ٣٦٥/١

(٨) تفسير أبي السعود ١٣٠/١

(٩) انظر: بحر العلوم ١٠٤/١، ١٠٥

(١٠) الجامع لأحكام القرآن ٢٤٤/١

لتكذيبهم بما قد علموه حقًّا يقينًا من المثل الذي ضربه الله لمَا ضرَبه له، وأنه لمَا ضرَبه له موافق، فذلك إضْلال الله إياهم به، ويهدي به، يعني بالمثل، كثيرًا من أهل الإيمان والتصديق، فيزيدهم هدى إلى هُداهم وإيمانًا إلى إيمانهم لتصديقهم بما قد علموه حقًّا يقينًا أنه موافق ما ضرَبه الله له مثلا وإقرارُهم بهن وذلك هدايةٌ من الله لهم به"(١)، وعلى هذا الوجه كثير من النحاة والمفسرين(٢). والمفسرين(٢). وقد ردوا الوجه السابق بحجة "أنَّ الكافرين لا يُقرون بأن في القرآن شيئا من الهداية، ولا يعترفون على أنفسهم بشيء من الضلالة"(٣)، بمعنى: أنّ الذي ذُكر أنّ الله لا يستحيي منه هو ضرب مثل مّا، أي مثلٍ كان بعوضة أو ما فوقها، والذين كفروا إنما سألوا سؤال استهزاء وليسوا معترفين بأن هذا المثل يُضِلُّ اللَّهُ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا"(٤)، فكيف تجعلونه من تمام كلامهم؟ هذا أمر، الأمر الثاني: أن قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةًۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًاۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ {المدثر: ٣١}، الوقف فيها على ﴿بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ فهو انتهاء كلامهم، ثم استانف ما بعده ﴿

---

(١) تفسير الطبري ٤٣٢/١ ، وقد روى هذا المعنى الطبري عن ابن مسعود عن ناس من صحابة النبي ﷺ.

(٢) انظر على سبيل المثال: الزجاج (معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق إبراهيم بن السري السري المعروف بالزجاج (ت:٣١١هـ) تحقيق عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، ٥٠/١) وأبوجعفر النحاس (القطع والائتناف ٤٧/١) والسمرقندي (بحر العلوم١٠٤/١) والزمخشري (الكشاف٢٤٤/١) والنسفي (تفسير النسفي٧٣/١) وابن جزي (التسهيل٦٠/١) وأبو السعود (تفسير أبي السعود١٣٠/١) والشوكاني (فتح القدير ص٤٠) والآلوسي (روح المعاني٢٠٩/١)

(٣) فتح القدير ص٤٠، وانظر أيضا: الجامع لأحكام القرآن ٢٤٤/١

(٤) البحر المحيط ٢٧٠/١

﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾، فكما استأنف ما بعده في المدثر، استأنف ما بعده هنا في البقرة، فقاسوا النظم على النظم، يقول أبو علي عن (يضل الله):"ليس بصفة لـ(مثل) الة قوله:﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ﴾ في الأخرى"(١).

وجوَّز الوجهين ابن عطية(٢) والعكبري(٣) والسمين(٤) والأشموني(٥) وغيرهم(٦)، يقول أبو حيان:"إنْ ضُمن معنى الكلام أن ذلك على حسب اعتقادكم وزعمكم أيها المؤمنون يمكن ذلك"(٧)، أي: يصح أن يكون من كلامهم "إنْ كان قولهم هذا من باب المماشاة مع المؤمنين؛ إذ هم ليسوا بمعترفين بأن هذا المثل يضل الله به كثيرا ويهدي به كثيرا"(٨)، ويقول الأشموني:"﴿بِهَٰذَا مَثَلٗا﴾ كاف على استئناف ما بعده جوابا من الله للكفار،

(١) إعراب القرآن المنسوب للزجاج (ت:٣١١هـ)، تحقيق/ إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ص٢٠٥، وانظر أيضا: تفسير الطبري ٤٣٢/١، والقطع والائتناف ٤٧/١، وتفسير الرازي ١٥٩/٢

(٢) انظر: المحر الوجيز ١١٢/١

(٣) انظر: التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت:٦١٦هـ)، تحقيق/ سعد كريم الفقي، دار اليقين، المنصورة، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م، ٣٩/١، يقول العكبري:"(يضل) يجوز أن يكون في موضع نصب صفة للمثل، ويجوز أن يكون حالا من اسم الله، ويجوز أن يكون مستأنفا" ٣٩/١ والحال بمعنى: مُضِلا به كثيرا وهاديا به كثيرا، والصفة والحال قيدان، يعنيان أن الكلام متصل لا وقف فيه.

(٤) انظر: الدر المصون ٢٣٢/١

(٥) انظر: منار الهدى ص٣٧

(٦) انظر على سبيل المثال: القرطبي (الجامع لأحكام القرآن ٢٤٤/١) وأبو حيان (البحر المحيط ٢٧٠/١) وأبو يحيى زكريا الأنصاري (المقصد ص٣٧)

(٧) البحر المحيط ٢٧٠/١

(٨) روح المعاني ٢٠٩/١

وإن جُعل من تتمة الحكاية عنهم كان جائزا"[1] أي الوقف، وهو ما وضحه أبو يحيى زكريا الأنصاري بقوله:"﴿بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾ كاف إن جعل ما بعده مستأنفا جوابا من الله لكلام الكافرين، وإن جعل من تمام الحكاية عن الكفار لم يحسن الوقف على ذلك، ولا يبعد أن يكون جائزا"[2]

والذي يترجح أن يكون الكلام منقطعا، وأن يكون الوقف على ﴿بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾ لمشابهة النظم في آية المدثر، وقد نسب الرازي وجه الاتصال المتقدم للمعتزلة[3] الذين يرون أن الله تعالى لا يخلق الضلال، وأنهم قالوا ذلك؛ لأن الله لا يضل أحدا، وبعضهم أوّلَ الإضلال بالتسمية، أي: سماه ضالا، تفاديا لهذا المعنى أيضا، "وهو خلاف أقاويل المفسرين، وهو غير محتمل في اللغة؛ لأنه يقال: ضلله إذا سماه ضالا، ولا يقال: أضله إذا سماه ضالا، ولكن معناه ما ذكره المفسرون أهل التأويل من الحق أنه يخذل به كثيرا من الناس مجازاة لكفرهم"[4]، فكان الانقطاع أولى وإبعادا عن توجيهات المعتزلة المخالفة لأهل السنة.

(٣) يقول تعالى:﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ {الشعراء: ٨٣ – ٨٩}

يتحدث السياق عن قصة إبراهيم عليه السلام ، لما انتهى السياق من محاورة إبراهيم مع قومه المشركين عن التوحيد، ووعظه لهم ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ {الشعراء: ٧٠} انتقل السياق إلى تضرعه ورفع يديه إلى السماء قائلا:

(١) منار الهدى ص٣٧
(٢) المقصد ص٣٧
(٣) انظر: تفسير الرازي ١٥٦/٢
(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٤٤/١

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾، هذا لا خلاف فيه، وإنما الخلاف في قوله: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ كلام من؟ هل هو من تمام كلام إبراهيم عليه السلام، متصل بمقول القول، من ﴿ يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾ ، والوقف على ﴿ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ أم هو استئناف كلام من الله تعالى، خبر جديد، لا محل له، والوقف على ﴿ يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾؟

يرى العكبري[1] وأبو حيان[2] وأبو السعود[3] والشوكاني[4] أن جملة ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ من كلام إبراهيم عليه السلام، والكلام متصل، و(يومَ) في ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾ بدل من ﴿ يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾، "جيء به تأكيدا لتهويل ذلك اليوم وتمهيدا لما يعقبه من الإستثناء"[5]، والمعنى "إظهار أن الالتجاء في ذلك اليوم إلى الله وحده ولا عون فيه بما اعتاده الناس في الدنيا من أسباب الدفع عن أنفسهم"[6]، فقد أخبر إبراهيم عليه السلام "بما أعلمَه الله من أحوال يوم القيامة، وما يكون فيها من حال قومه"[7]. يقول الزمخشري:"ومما أكرم الله تعالى به خليله ونبه على جلالة محله في الإخلاص أن حكى استثناءه هذا حكاية راض بإصابته فيه، ثم جعله صفة له في قوله:

(١) انظر: التبيان ٦٢٦/٢

(٢) انظر: البحر المحيط ٢٦/٧

(٣) انظر: تفسير أبي السعود ٢٢٠/٤

(٤) انظر: فتح القدير ص١٠٦٠

(٥) روح المعاني ١٠٠/١٩، وانظر أيضا: تفسير أبي السعود ٢٢٠/٤، ٢٢١

(٦) التحرير والتنوير ١٤٧/١٩

(٧) البحر المحيط ٢٦/٧

﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾"[١]، وعلى هذا الرأي جمع من النحاة والمفسرين[٢].

ويرى السمرقندي[٣] وابن عطية[٤] والسيوطي[٥] أنَّ جملة ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ استئناف جديد من الله تعالى، لا محل له[٦]، وانقطع الكلام عند ﴿ يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾، والمعنى أنه "إخبارٌ من الله عز وجل، تعلّقَ بصفة ذلك اليوم الذي وقف إبراهيم عليه السلام عنده في دعائه أنْ لا يُخزَى فيه"[٧]، يقول ابن عاشور:"وهو استظهار رشيق، فيكون: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾ استئنافا خبرا لمبتدأ محذوف تقديره: هو يومَ لا ينفع مال ولا بنون، وفتحة (يومَ) فتحة بناء؛ لأن (يومَ) ظرف أضيف إلى فعل معرب، فيجوز إعرابه ويجوز بناؤه على الفتح، فهو كقوله تعالى: ﴿ هَٰذَا يَوْمَ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾{المائدة: ١١٩}[٨]، وقد رأى السيوطي أن الكلام منقطع عما

---

(١) الكشاف ٤/٤٠٠

(٢) انظر على سبيل المثال: الطبري (تفسير الطبري١٧/٥٩٥) والزمخشري (الكشاف٤/٤٠٠) والرازي (تفسير الرازي٢٤/١٥٠) والنسفي (تفسير النسفي٢/٥٦٩) والسمين (الدر المصون٨/٥٣٢) والأشموني (منار الهدى ص٢٧٩) وأبو يحيى زكريا الأنصاري (المقصد ص٢٧٩) والآلوسي (روح المعاني١٩/١٠٠)

(٣) انظر: بحر العلوم ٢/٤٧٦

(٤) انظر: المحرر الوجيز ٤/٢٣٦

(٥) انظر: الإتقان ص١٨٤٤

(٦) يصح أن يكون (يوم) خبر مبتدأ محذوف، وبني على الفتح جوازا، أي: هو يومَ، ويصح أن يكون مفعولا به لـ(اذكر) محذوفا.

(٧) المحرر الوجيز ٤/٢٣٦

(٨) التحرير والتنوير ١٩/١٤٧، وآية الصافات التي ذكرها ابن عاشور ذكرها بقراءة نافع رضي الله عنه على ما يقرأ بها أهل المغرب العربي، فقد قرأ الجمهور (يوم) بالرفع، وقرأها نافع نصبا. انظر: السبعة في القراءات، لأبي بكر أحمد بن موسى العباس بن مجاهد=

قبله، وأنه من باب "حسن التخلص"، وهو "أن يُنْتقل مما ابْتُدِئ به الكلام إلى المقصود على وجه سهل يختلسه اختلاسا دقيق المعنى، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع عليه الثاني لشدة الالتئام بينهما"(١)، و قد ذكر السيوطي أنّ في القرآن "من التخلصات العجيبة ما يحير العقول"(٢)، ثم جعل منه هذه الآية، قال:"وفي سورة الشعراء حكى قول إبراهيم ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾ فتخلص منه إلى وصف المعاد بقوله: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾"(٣).

وجوّز الوجهين ابن جزي(٤) وابن عاشور(٥)، يقول ابن جزي:"﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ﴾ وما بعده منقطع عن كلام إبراهيم، وهو من كلام الله تعالى، ويحتمل أن يكون أيضا من كلام إبراهيم"(٦)

=(ت:٣٢٤هـ)، تحقيق الدكتور/ شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ص٢٥٠، والذي ذكره ابن عاشور في توجيه النصب هو رأي الكوفيين، يقول مكي بن أبي طالب:"ومذهب الكوفيين في فتح (يوم) أنه في موضع رفع على خبر (هذا) ...، وفتحه بناء لإضافته إلى الفعل، لأنه غير متمكن في الإضافة إليه، والبصريون إنما يبنون الظرف غذا أضيف إلى فعل مبني، فإن أضيف إلى فعل معرب لم يبن" الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت:٤٣٧هـ)، تحقيق الدكتور/ محيي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م، ٤٢٤/١، والنصب عند البصريين على أنه ظرف للقول المذكور أو للاستقرار المحذوف.

(١) الإتقان ص١٨٤٣

(٢) الإتقان ص١٨٤٣

(٣) الإتقان ص١٨٤٤

(٤) انظر: التسهيل ١١٩/٢

(٥) انظر: التحرير والتنوير ١٤٧/١٩

(٦) التسهيل ١١٩/٢

(٤) يقول تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴾ {طه: ٥١ – ٥٣}

يتحدث السياق عن الحوار الذي دار بين موسى عليه السلام وفرعون، قال فرعون لموسى: أخبرنا عن قوم نوح وهود وصالح وقد كانوا يعبدون الأوثان، قال موسى: علمها عند ربي، أي جزاؤهم عند ربي في لوح محفوظ عنده، في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى، أي: أعمال تلك الأمم في كتاب محفوظ عند ربي وسيجزيهم بأعمالهم إن ربي لا يخطىء ولا ينسى، هذا لا خلاف فيه، وإنما الخلاف في قوله: ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴾ كلام من، هل هو من تمام كلام موسى، والوقف على ﴿ مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴾ أم هو استئناف جديد من الله تعالى، لا محل له، والوقف على ﴿ وَلَا يَنسَى ﴾؟

يرى السمرقندي[1] والرازي[2] وأبو حيان[3] وابن عاشور[4] أنَّ جملة ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴾ استئنافية، لا محل لها، ابتداء كلام من الله تعالى، يقول السمرقندي:"وإلى هذا الموضع – يعني ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ – حكاية كلام موسى، ثم إن الله عز وجل قال لمشركي مكة ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا ﴾"[5]، فهو إخبار من الله لمحمد ﷺ، فـ(الذي) خبر مبتدأ محذوف،

(١) انظر: بحر العلوم ٣٤٥/٢
(٢) انظر: تفسير الرازي ٦٧/٢٢، ٦٨
(٣) انظر: البحر المحيط ٢٣٤/٦
(٤) انظر: التحرير والتنوير ٢٣٥/١٦
(٥) بحر العلوم ٣٤٥/٢

والتقدير: هو الذي، "والجملة على ماقيل: مستأنفة استئنافا بيانيا كأنه سبحانه لما حكى كلام موسى عليه السلام إلى قوله: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ سئل ما أراد موسى بقوله: ﴿رَبِّي﴾ فقال سبحانه: (هُوَ الذى جَعَلَ) إلخ"[١]، وانتظام قوله ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ﴾ في هذا النظم جاء على سبيل الالتفات من الغائب إلى المتكلم، للتنبيه"على كمال القدرة والحكمة والإيذان بأنه لا يتأتى إلا من قادر مطاع عظيم الشأن تنقاد لأمره وتذعن لمشيئته الأشياء المختلفة"[٢]، وحسّن هذا الالتفات هنا "أنّه بعد أن حَجّ المشركين بحجّة انفراده بخلق الأرض وتسخير السماء مما لا سبيل بهم إلى نكرانه ارتقى إلى صيغة المتكلّم المطاع، فإن الذي خلق الأرض وسخّر السماء حقيق بأن تطيعه القوى والعناصر، فهو يُخرج النّبات من الأرض بسبب ماء السماء، فكان تسخير النبات أثراً لتسخير أصل تكوينه من ماء السماء وتراب الأرض"[٣]، يقول الرازي:"وهذا الوجه هو المعتمد في صحة هذا النظم"[٤]، وعليه جمع من النحاة والمفسرين[٥].

ويرى الواحدي[٦] والزمخشري[٧] وابن عطية[٨] والقرطبي[٩] أنَّ جملة جملة ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ من تمام كلام موسى عليه السلام، و(الذي) في محل رفع

---

(١) روح المعاني ٢٠٥/١٦

(٢) تفسير أبي السعود ٦٣٧/٣

(٣) التحرير والتنوير ٢٣٥/١٦

(٤) تفسير الرازي٦٧/٢٢

(٥) انظر على سبيل المثال: السمين (الدر المصون٥٠/٨) وأبو السعود (تفسير أبي السعود٦٣٧/٣)

(٦) انظر: الوجيز ص٦٩٧

(٧) انظر: الكشاف ٨٦/٤

(٨) انظر: المحرر الوجيز ٤٨/٤

(٩) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٠٩/١١

نعت لـ(ربِّي) أو منه، أي: لا يضل ربي الذي جعل، قالوا: "انظر كيف وصف موسى ربه تعالى بأوصاف لا يمكن فرعون أن يتصف بها، لا على وجه الحقيقة ولا على وجه المجاز، ولو قال له: هو القادر أو الرازق وشبه ذلك لأمكن فرعون أن يغالطه ويدّعي ذلك لنفسه"(١)، يقول أبو جعفر النحاس:"﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ ليس بتمام؛ لأنَّ (الذي) في موضع خفض نعت لـ(ربي)، والتمام ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴾ {طه: ٥٤}"(٢) واعترض على هذا الوجه الفريق الأول بحجة إفساد النظم عليه لوجود قوله﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِ ﴾، فكيف يقول موسى ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِ ﴾؟ فأجابوا على هذا بأن قالوا: إنَّ المعنى "﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِ ﴾ أي: بالحرث والمعالجة؛ لأن الماء المنزل سبب خروج النبات"(٣)، فالمراد منه: "أخرجنا نحن معاشر العباد بذلك الماءِ بالحراثة أزواجا أزواجا من نبات شتى"(٤)، فاعترض الفريق الأول بأن قالوا: ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِ ﴾ "لا يليق بموسى لأنّ أكثر ما في قدرة موسى عليه السلام صرف المياه إلى سقي الأراضي، وأما إخراج النبات على اختلاف ألوانها وطبائعها فليس من موسى عليه السلام فثبت أنَّ هذا كلام الله"(٥)، فإنْ حملتموه على المجاز قلنا: الحقيقة أولى من المجاز لورودها كثيرا في نظم القرآن، قال تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ﴾ {فاطر: ٢٧}، ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ {الأنعام: ٩٩}، قال الفريق الأول: نجعله من باب

(١) التسهيل ٢٠/٢
(٢) القطع والائتناف ٤١٤/١
(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٠٩/١١
(٤) روح المعاني ٢٠٦/١٦، وانظر أيضا: تفسير النسفي ٣٦٨/٢، وفتح القدير ص٩١١، ص٩١١، ٩١٢
(٥) تفسير الرازي ٦٩/٢٢

التلون في الخطاب، فتم كلام موسى عند ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾، وانقطع الكلام وتم الوقف، ثم تلون الخطاب، فقال تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ ﴾(١)، "أوصله سبحانه بكلام موسى عليه السلام حين الحكاية لنبينا ﷺ"(٢)، والسياق يظهر ذلك التلون بقرينة التكلم، فاعترض الفريق الأول بأن قالوا:"الفاء يتعلق بما قبله؛ فلا يجوز جعْل هذا كلام الله تعالى، وجعْل ما قبله كلام موسى عليه السلام"(٣)، واستبعده السمين(٤)، وقال أبو السعود: وهو خلاف الظاهر(٥)، وجعله الرازي باطلا ومفسدا للنظم(٦)، ثم قال:"فلم يبق إلا أن يقال: إن كلام موسى عليه السلام تم عند قوله: ﴿ لَّا ﴾ ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ ثم ابتُدِئَ كلامُ الله تعالى من قوله: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا ﴾، ويكون التقدير: هو الذي جَعَلَ لَكُمُ الارْضَ مَهْدًا، فيكون الذي خبر مبتدأ محذوف ويكون الانتقال من الغيبة إلى المتكلم التفاتا"(٧).
وعلى وجه التبعية والاتصال جمع من النحاة والمفسرين(٨) أيضا.

وجوَّز الوجهين النسفي(٩) والأشموني(١٠) وابن عجيبة(١١)، يقول الأشموني:"﴿ وَلَا يَنسَى ﴾ تام؛ لأنه آخر كلام موسى، وما بعده من كلام الله

(١) انظر: الوجيز ص٦٩٧، والجامع لأحكام القرآن ٢٠٩/١١
(٢) روح المعاني ٢٠٦/١٦، وانظر أيضا: المحرر الوجيز ٤٨/٤
(٣) تفسير الرازي ٦٩/٢٢
(٤) انظر: الدر المصون ٥١/٨
(٥) انظر: تفسير أبي السعود ٦٣٨
(٦) انظر: تفسير الرازي ٦٧/٢٢، ٦٨
(٧) تفسير الرازي ٦٩/٢٢
(٨) انظر على سبيل المثال: الطبري (تفسير الطبري٨٥/١٦) والبيضاوي (تفسير البيضاوي٣٠/٤) البيضاوي٣٠/٤) وابن جزي (التسهيل٢٠/٢) والخطيب الشربيني (السراج المنير ٣٦٨/٢) والشوكاني (فتح القدير ص٩١١)
(٩) انظر: تفسير النسفي ٣٦٨/٢
(١٠) انظر: منار الهدى ص٢٤٣
(١١) انظر: البحر المديد ٤٠٩/٤

مستأنف، فـ(الذي) خبر مبتدأ محذوف...، وليس بوقف إن جُعل ا أو صفة لـ(ربي)... (ماء) حسن؛ لأنه آخر كلام موسى على القول الثاني، ثم قال تعالى (فأخرجنا به) إلى قوله تعالى (أنعامكم)"[١].

والأولى الانقطاع والحفاظ على الالتفات كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾ {فاطر: ٢٧}، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ {الأنعام: ٩٩}، ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ {لقمان: ١٠}، ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ {ق: ٩}، ثم إن النظم بصيغة المتكلم جاءت في السياق كثيرا؛ لتدل على أن الكلام لله تعالى، فقال: (فأخرجنا) (خلقناكم) (نعيدكم) (نخرجكم) (أريناه)[٢]، فدل على أن (فأخرجنا) من كلام الله.

(٥) يقول تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ {النحل: ٣٠}

يتحدث السياق عن حوار بين أهل الكفر والمتقين أصحاب النبي ﷺ في قريش، حيث سألوا المتقين: ماذا أنزل ربكم؟، فأجابوا: أنزل خيرا، لا خلاف في هذا، وإنما الخلاف في ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ﴾ كلام من؟ هل هو من تمام كلام المتقين، على وجه البدل أو التفسير لـ(خيرا)، في محل نصب، والوقف على ﴿وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ﴾ أم هو استئناف من الله تعالى، لا محل له، والوقف على ﴿قَالُوا۟ خَيْرًا﴾؟

---

(١) منار الهدى ص٢٤٣

(٢) انظر: البحر المحيط /٢٣٤، والدر المصون ٨/ ٥٠

جوَّز الوجهين الزمخشري[١] والرازي[٢] والسمين[٣] والأشموني[٤]، قالوا: "(خيْرًا) تام، أي: قالوا: أنزلَ خيرا، فـ(خيرًا) مفعول (أنزل) ....، وليس (خيرا) بوقف إنْ جعل ما بعده جملة مندرجة تحت القول، مفسرة لقوله: (خيرا)؛ وذلك أنَّ الخير هو الوحي الذي أنزل الله فيه أن من أحسن في الدنيا بالطاعة فله حسنة في الدنيا وحسنة في الآخرة، وكذا إن جُعلَ ا من قوله (خيرا)"[٥]، **فالوجه الأول** الوقف فيه على ﴿خَيۡرٗاۚ﴾ وتم كلام المتقين، واستأنف الله تعالى كلاما جديدا لا محل له على وجه الخبر والمدح والتأكيد[٦] لكلام المتقين في جوابهم (خيرا)، فـ"هو ابتداء كلام من الله مقطوع مما قبله لكنه بالمعنى وعد متصل بذكر إحسان المتقين في مقالتهم"[٧]، فقد عدَّ الله تعالى جوابَهم من جملة إحسانهم، ووعدهم بذلك ثوابي الدنيا والآخرة[٨]، واختارَ الآلوسي هذا الوجه، فقال:"والمختارُ من هذه الأوجه عند جمعٍ هو الأول، بل قيل: إنَّه الوجه"[٩]، **والوجه الثاني** الوقف فيه على ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ﴾ والكلام متصل، وجملة ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ﴾ في محل نصب من (خيرا) أو لا محل لها تفسيرية لـ(خيرا)، فـ"هو تفسير للخير الذي أنزل الله في الوحي على نبينا خبرًا أنّ من أحسن في الدنيا بطاعة فله حسنة في الدنيا ونعيم في الآخرة

(١) انظر: الكشاف ٤٣٤/٣
(٢) انظر: تفسير الرازي ٢٤/٢٠
(٣) انظر: الدر المصون ٢١٤/٧
(٤) انظر: منار الهدى ص٢١٤
(٥) منار الهدى ص٢١٤
(٦) انظر: تفسير الرازي ٢٤/٢٠، وتفسير أبي السعود ٣٥٧/٣
(٧) المحرر الوجيز ٣٩٠/٣
(٨) انظر: الكشاف ٤٣٤/٣، وتفسير أبي السعود ٣٥٧/٣
(٩) روح المعاني ١٣٢/١٤

بدخول الجنة"[١]، يقول الآلوسي:"ولعل اقتصارهم على هذا من بين المنزل؛ لأنه كلام جامع، وفيه ترغيب للسائل"[٢]، واستظهر أبو حيان هذا الوجه، فقال:"والظاهر أنَّ قوله مندرج تحت القول، وهو تفسير للخير الذي أنزله الله في الوحي"[٣]، يقول ابن جني:"ومتى كانت الجملة تفسيرا لم يحسن الوقف على ما قبلها دونها؛ لأن تفسير الشيء لاحقٌ به ومتمم له وجار مجرى بعض أجزائه كالصلة من الموصول والصفة من الموصوف"[٤]، وقد جوَّز الوجهين معا جمعٌ جمعٌ من النحاة والمفسرين[٥].

ويرى الطبري[٦] وابن الأنباري[٧] وأبو جعفر النحاس[٨] وأبو عمرو الداني[٩] الداني[٩] أنَّ جملة ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞ﴾ استئناف جديد من الله الله تعالى منقطع عما قبله والوقف على ﴿خَيۡرٗا﴾ وهو التمام، وعلى هذا الوجه جمع من النحاة والمفسرين أيضا[١٠].

---

(١) المحرر الوجيز ٣/٣٩٠

(٢) روح المعاني ١٤/١٣٢

(٣) البحر المحيط ٥/٤٧٤

(٤) البرهان ٣/٣٧

(٥) انظر على سبيل المثال: الزجاج (معاني القرآن وإعرابه٣/١٩٦)، والسمرقندى (بحر العلوم٢/٢٣٤)، وابن عطية (المحرر الوجيز٣/٣٩٠)، والقرطبي (الجامع لأحكام القرآن١٠/١٠٠)، والبيضاوي (تفسير البيضاوي٣/٢٢٥)، والنسفي (تفسير النسفي٢/٢١٠)، وابن جزي (التسهيل ١/٤٢)، وأبو حيان (البحر المحيط٥/٤٧٤) والشوكاني (فتح القدير ص٧٨٠)، والآلوسي (روح المعاني ١٤/١٣٢)

(٦) انظر: تفسير الطبري ١٤/٢١٠

(٧) انظر: إيضاح الوقف والابتداء ٢/٧٤٨

(٨) انظر: القطع والائتناف ١/٣٦٤

(٩) انظر: المكتفى ص٣٥٠

(١٠) انظر على سبيل المثال: البغوي (تفسير البغوي٥/١٧)، والثعالبي (تفسير الثعالبي٣/٤١٧)، وأبو يحيى زكريا الأنصاري (المقصد ص٢١٤)، والخطيب الشربيني (السراج المنير ٢/١٧٩)، وابن عجيبة (البحر المديد٤/٢٤، ٢٧)، وابن عاشور (التحرير والتنوير ١٤/١٤٢)

والسؤال الآن: هل يرجح قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٖ ﴾ {الزمر: ١٠} وهو من كلام الله تعالى – هل يرجحُ هذا الوجهَ الأولَ، وهو الاستئناف والانقطاع مماقبله؟ الجواب: نعم يرجحه، وبه استدل ابن عاشور على الانقطاع أيضا، ولم يجوز غيره، فقال عن قوله: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٞ ﴾:"هي كلامٌ من الله تعالى مثل نظيرها في آية: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ ﴾، وليست من حكاية قول الذين اتّقوا"(١).

تعقيب:

إنّ ما ظهر خلال الأمثلة السابقة يؤكد وجود الاستطراد وحسن التخلص كثيرا في القرآن الكريم، كما يؤكد على صحة قول السيوطي عن القرآن الكريم:"ففيه من التخلصات العجيبة ما يحير العقول"(٢) والذي يترجح في الأمثلة السابقة في تذييل جملة مقول القول أن يكون الكلام من قول الله تعالى، وتمام جملة المقول قد انتهت قبل كلام الله تعالى؛ وذلك لثلاثة أسباب، الأول: مشابهة النظم، والثاني: وجود قرائن سياقية في بعض الآيات للفرق بين ما يدخل ضمن مقول القول وبين مالا يدخل، والثالث: أنَّ النظم القرآني يسمح بتدخل كلام الله تعالى بين ما ليس من كلامه، أو بين الكلامين المختلفين.

السبب الأول: مشابهة النظم القرآني، فغالب تذييل الآيات يكون من كلام الله تعالى، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ {البقرة: ٢١٨}

(١) التحرير والتنوير ١٤٢/١٤

(٢) الإتقان ص١٨٤٣

وقوله: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ {آل عمران: ١٢٩}

وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ {الحديد: ٢٨}

وقوله: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ {النساء: ٢٦}

وقوله: ﴿ وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ {الأنفال: ٧١}

وقوله: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ {القصص: ٨٣}

وقوله: ﴿ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ {الزخرف: ٥٨}

وقوله: ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ۗ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ {البقرة: ٢٧٠}

فجعله من كلام الله تعالى أولى لتنتظمَ سياقات القرآن الكريم في غمد واحد. فلو طردنا القرآن في تذييله للآيات على وتيرة واحدة لكان أليق به وبنظمه.

ويخرج من هذا الغالب الآيات التي يتحدث فيه الظالمون أو الكافرون أو المؤمنون صراحة، فالكلام لهم لا لغيرهم، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴾ {النبأ: ٤٠}

وقوله: ﴿ وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴾ {مريم: ٦٦}

وقوله: ﴿ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ {الفرقان: ٨}

وقوله: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ {الزخرف: ٦٣}

والسبب الثاني: وجود قرائن سياقية في بعض الآيات جاءت للفرق بين ما يدخل ضمن مقول القول وبين مالا يدخل، فالأصل أن التذييل من كلام الله تعالى، فلو أراد الله إلزامَ وجه واحد لأظهر قرينة سياقية تدل على هذا الوجه ولا تحتمل غيره، ومن الدلائل السياقية القادرة على تحديد نهاية جملة المقول، وتعيينها :

(١) قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴾، فجملة ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا ﴾ "مستأنفة ابتدائية على عادة القرآن من تفنّن الأغراض لتجديد نشاط الأذهان، ولا يحتمل أن تكون من كلام موسى؛ إذ لا يناسب ذلك تفريع قوله: ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا ﴾، فقوله: الذي جَعَلَ لكمُ الأرضَ مِهادا، خبر لمبتدأ محذوف، أي هو الذي جعل لكم الأرض مهادا"[١]، فـ"قوله: ﴿ فَأَخْرَجْنَا ﴾ إما أن يكون من كلام موسى عليه السلام أو من كلام الله تعالى والأول باطل... لأنّ أكثر ما في قدرة موسى عليه السلام صرف المياه إلى سقي الأراضي، وأما إخراج النبات على اختلاف ألوانها وطبائعها فليس من موسى عليه السلام فثبت أن هذا كلام الله"[٢]، فمجيء النظم بصيغة المتكلم ﴿ فَأَخْرَجْنَا ﴾ قرينة سياقية تدل على أن الكلام لله تعالى؛ فلو كان من كلام موسى لقال: (فأخرج)؛ ولذلك يقول أبو حيان:"لمّا ذكر موسى دلالته على ربوبية الله تعالى وتم كلامه عند قوله: ﴿ وَلَا يَنسَى ﴾ ذكر تعالى ما نبه به على قدرته تعالى ووحدانيته، فأخبر عن نفسه بأنه تعالى هو الذي صنع

(١) التحرير والتنوير ١٦/٢٣٥، ٢٣٦

(٢) تفسير الرازي ٢٢/٦٨

كيت وكيت ، وإنما ذهبنا إلى أن هذا هو من كلام الله تعالى لقوله تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ﴾، وقوله: ﴿ كُلُواْ وَٱرْعَوْاْ أَنْعَٰمَكُمْ ﴾ {طه: ٥٤}، وقوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ﴾ {طه: ٥٦}، فيكون قوله: ﴿ فَأَخْرَجْنَا ﴾ و﴿ أَرَيْنَٰهُ ﴾ التفاتا من الضمير الغائب في (جعلَ) و(سلك) إلى ضمير المتكلم"[١]، "وإنَّما التفت إلى التكلم للتنبيه على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة والإيذان بأنه لا يتأتى إلا من قادر مطاع عظيم الشأن تنقاد لأمره وتذعن لمشيئته الأشياء المختلفة، كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ﴾ {فاطر: ٢٧}، وقوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ﴾ {النمل: ٦٠}"[٢]، وهذا الالتفات "فيه تخصيص أيضا بأنا نحن نقدر على مثل هذا، ولا يدخل تحت قدرة أحد"[٣]، "فلم يبق إلا أن يقال: إن كلام موسى عليه السلام تم عند قوله : ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴾ ثم ابتُدِئَ كلامُ الله تعالى من قوله: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا ﴾، ويكون التقدير: هو الذي جَعَلَ لَكُمُ الارْضَ مَهْدًا، فيكون الذي خبر مبتدأ محذوف ويكون الانتقال من الغيبة إلى المتكلم التفاتا"[٤]، وهو الوجه المتعين[٥] هنا كما يقول الآلوسي، وتمام الوقف على﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴾.

(٢) ومن الدلائل السياقية أيضا قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ

---

(١) البحر المحيط ٢٣٤/٦، وانظر أيضا: الدر المصون ٥٠/٨
(٢) تفسير أبي السعود ٦٣٧/٣
(٣) الكشاف ٨٦/٤
(٤) تفسير الرازي ٦٩/٢٢
(٥) انظر: روح المعاني ٢٠٦/١٦

لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ {الزخرف: ٩ – ١١}

لما سئل الكافرون عمّن خلق السموات والأرض أجابوا بقولهم: خلقهن العزيز العليم، وانتهى كلامهم به، وابتدأ الله تعالى معددا مصنوعاته، وواصفا نفسه بكمال القدرة، فـ(الذي) ليس نعتا لـ(العزيز العليم)، والقرينة السياقية المانعة من هذا هي قوله ﴿ جَعَلَ لَكُمُ ﴾ و﴿ فَأَنشَرْنَا بِهِ ﴾ ، فـ"لو كان هذا من جملة كلام الكفار لوجبَ أن يقولوا: الذي جعل لنا الأرض مهدا، ولأنّ قوله في أثناء الكلام ﴿ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ﴾ لا يتعلق إلا بكلام الله"(١)، فـ(الذي) خبر مبتدأ محذوف، استئناف من جهة الله تعالى عن نفسه، فقال: (لكم) والتفت في (أنشرنا) "إلى نون العظمة لإظهار كمال العناية بأمر الإحياء والإشعار بعظم خطره"(٢)، فجملة ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ "تخلّصٌ من الاستدلال على تفرده بالإلهية بأنه المنفرد بخلق السماوات والأرض إلى الاستدلال بأنه المنفرد بإسداء النعم التي بها قِوام أَوَدِ حياة الناس، فالجملة استئناف حُذف منها المبتدأ، والتقدير: هو الذي جعل لكم الأرض مهادا"(٣)، فهو ابتداء إخبار من الله لا من كلام

(١) تفسير الرازي ١٩٧/٢٧، وانظر أيضا: إيضاح الوقف والابتداء ٨٨٣/٢، والقطع والائتناف ٤٦٠/١، وبحر العلوم ٢٠٣/٣، والمكتفى ص٥٠٦، والبغوي ٢٠٧/٧، والكشاف ٤٢٦/٥، والمحرر الوجيز ٤٧/٥، والجامع لأحكام القرآن ٦٤/١٦، والتسهيل ٣٠٩/٢، والبحر المحيط ٨/٨، وتفسير الثعالبي ١٧٤/٥، ومنار الهدى ص٣٤٩، والمقصد ص٣٤٩، والسراج المنير ٤٤٠/٣، وتفسير أبي السعود ٧٧/٥، وفتح القدير ص١٣٣٥، وروح المعاني ٦٦/٢٥، والتحرير والتنوير ١٦٨/٢٥

(٢) تفسير أبي السعود ٧٧/٥

(٣) التحرير والتنوير ١٦٨/٢٥

المسئولين. ولذلك تمام الوقف على ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ فهو نهاية كلام كفار قريش.

(٣) ومن الدلائل السياقية أيضا قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ {المنافقون: ١}

جملة: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ "ليس من كلام المنافقين، وإنما هو من كلام الله تعالى، ولو لم يذكره لكان يوهم أنّ قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ إبطال للرسالة، فوسطه بين حكاية المنافقين وبين تكذيبهم ليزيل هذا الوهم، وليحقق الرسالة، وعلى هذا ينبغي أن يوقف على قوله : ﴿لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ "(١)، فهو نهاية كلام المنافقين، وما بعده مستأنف لا محل له، من كلام الله تعالى، يقول الزمخشري:"فإن قلتَ: أيُّ فائدة في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾؟ قلتُ: لو قال: قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يشهد إنهم الكاذبون، لكان يوهم أنّ قولهم هذا كذب؛ فوسَّط بينهما قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾؟ ليميطَ هذا الإيهام"(٢)، وهو "رجوع التكذيب إلى نفس الخبر المشهود به من أول الأمر"(٣)، يقول الخطيب القزويني عند حديثه عن الإطناب:" فإنه لو اختُصر لتُرك قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾؛ لأن مساق الآية لتكذيبهم في دعوى الإخلاص في الشهادة كما مر وحسّنه – أي: حسّن الذكرَ– دفعُ توهم

(١) التسهيل ٤٤٨/٢، وانظر أيضا:بحر العلوم ٣٦٤/٣، والكشاف ١٢٢/٦، وتفسير الرازي ١٢/٣٠، والبحر المحيط ٢٦٧/٨، والدر المصون ٣٣٥/٩، والبرهان ٦/٣، والإتقان ص١٦٨١، ومنار الهدى ص٣٩٣، والمقصد ص٣٩٣والسراج المنير ٢٠٩/٤، وتفسير أبي السعود ٣٣٢/٥، والبحر المديد ٦٧/٨، وفتح القدير ص١٤٩٣، وروح المعاني ١٠٨/٢٨، والتحرير والتنوير ٢٣٥/٢٨

(٢) الكشاف ١٢٢/٦

(٣) روح المعاني ١٠٨/٢٨

أن التكذيب للمشهود به في نفس الأمر"[١]، فجملة: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ على هذا "معترضة مقررة لمضمون ما قبلها وهو ما أظهروه من الشهادة وإن كانت بواطنهم على خلاف ذلك"[٢]، والوهم محتمل فأُزيل بكلام الله ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾، فإذا أزيل هذا الوهم فقد تقرر أنهم كاذبون "لإضمارهم خلاف ما أظهروا"[٣]، أو "لأنهم لم يعتقدوا ذلك"[٤] بقلوبهم وضمائرهم، وأضمروا النفاق، فهم "كاذبون في إخبارهم عن أنفسهم أنها تشهد إنك لرسول الله، وذلك أنها لا تعتقد ذلك ولا تؤمن به، فهم كاذبون في خبرهم عنها بذلك"[٥]، يقول القرطبي:"وهذا يدل على أنَّ الإيمانَ تصديقُ القلب، وعلى أنَّ الكلام الحقيقي كلام القلب، ومَن قال شيئا واعتقد خلافه فهو كاذب"[٦]، ولا يعتد إلا بما أقره القلب؛ ولذلك يقول الأشموني عند حديثه عن قوله:﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾: "ولا يجوز وصله؛ لأنه لو وصله لصار قوله:﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ﴾ من مقول المنافقين، وليس الأمر بذلك، بل هو ردٌّ لكلامهم أنَّ رسول الله **غير رسول**، فكذبهم الله بقوله:﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾"[٧]، فبيَّنّ الله أنَّ منطوق قلوبهم هو أنَّ محمدا غيرُ رسول، فكذبهم.

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة، للإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد المعروف بالخطيب القزويني (ت:٧٣٩هـ)، تحقيق/ إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ص١٦١، وانظر أيضا: البرهان في علوم القرآن٣/٦٦، والإتقان ص١٦٨١

(٢) فتح القدير ص١٤٩٣

(٣) الوجيز ص١٠٩٨

(٤) تفسير البيضاوي ٥/٢١٤

(٥) تفسير الطبري ٢٢/٦٥٠

(٦) الجامع لأحكام القرآن ١٨/١٢٣

(٧) منار الهدى ص٣٩٣

(٤) ومن الدلائل السياقية أيضا قوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴾ {النازعات: ١٠ – ١٤}

لما قال أهل مكة مستبعدين البعث ومنكرين له: ﴿ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴾ ، يعنون أنهم إذا عادوا إلى الحياة مرة أخرى فإن هذه العودة تكون خاسرة لهم، لتكذيبهم بها، وهذا استهزاء منهم، لما قالوا هذا كله، خطابَهم الله تعالى مبينا لهم كمال سهولة البعث بالنسبة إلى قدرته تعالى، وردًّا لما استحالوه بقوله: ﴿ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴾، ولا يمكن أن يكون هذا من مقول منكري البعث، وإنما هو استئناف من الله تعالى؛ لأنَّ المنكر لا يثبت كيفية البعث، يقول أبو عمرو الداني: "﴿ كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴾ تام؛ لأنه انقضاء كلام منكري البعث، وما بعد ذلك من كلام الله تعالى"(١)، والفاء تعليلية لنهي مقدر، وهو "تعليل لما يدلُّ عليه ما تقدم من استبعادهم لبعث العظام النخرة وإحياء الأموات"(٢)، والتقدير: "لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله عز وجل فإنها سهلة هينة في قدرته فما هي

(١) المكتفى ص٦٠٦، وانظر أيضا: تفسير الطبري ٧٣/٢٤، ٧٦، والقطع والائتناف ٧٨٧/٢، وبحر العلوم ٤٤٣/٣، والوجيز ص١١٧٠، وتفسير البغوي ٣٢٨/٨، والكشاف ٣٠٦/٦، والمحرر الوجيز ٤٣٢/٥، وتفسير الرازي ٣٨/٣١، والجامع لأحكام القرآن ١٩٨/١٩، وتفسير البيضاوي ٢٨٤/٥، وتفسير النسفي ٥٩٧/٣، التسهيل ٥٣٣/٢، والبحر المحيط ٤١٣/٨، والدر المصون ٦٧٣/١٠، والمقصد ص٤١٧، والسراج المنير ٣٤٨/٤، وتفسير أبي السعود ٤٦٦/٥، ٤٧٠، والبحر المديد ٣٤٨/٨، ٣٥٠، ٣٥٤، وفتح القدير ص١٥٨١، وروح المعاني ٢٨/٣٠، ٣١، التحرير والتنوير ٧٢/٣٠

(٢) فتح القدير ص١٥٨١

إلا صيحة واحدة، يريد النفخة الثانية"(١)، ولهذا قال الزمخشري:"فإن قلت بم تعلق قوله: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ قلت: بمحذوف معناه: لا تستصعبوها، فإنّما هي زجرة واحدة"(٢).

(٥) ومن الدلائل السياقية أيضا قوله تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ٨٦ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ٨٧ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ {طه: ٨٦ – ٨٨}

لما نجّى الله تعالى بني إسرائيل من فرعون وملائه، اتجه موسى لملاقاة ربه بالطور، وكان المقرر أن يذهب معه بنو إسرائيل لأخذ التوراة، لكن موسى استعجل اللقاء، واستخلف هارون على بني إسرائيل على أن يواصلوا سيرهم وراء موسى، وحدث أن بني إسرائيل فتنهم السامري بصنع العجل ودعوتهم إلى عبادته وترك المسير وراء موسى عليه السلام ولما انتهت المناجاة وأعطى الله تعالى موسى الألواح التي فيه التوراة رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا لتركهم حضور موعد الرب تعالى الذي واعدهم به، فأجابوا عليه معتذرين: ما أخلفنا موعدك بملكنا، أي: بطاقتنا وإرادتنا، ولكنا كنا مضطرين، زعموا أنهم ما قدروا على المسير لغلبة الهوى عليهم فلم يطيقوا السير وراءه مع وجود العجل وما ضللهم به السامري من أنه هو إلههم وأن موسى أخطأ الطريق إليه فذهب يبحث عن إلهه في المكان الخطأ، ثم بينوا وجه الفتنة وسببها وهي أنهم لما كانوا خارجين من مصر استعار نساؤهم حليا من نساء القبط بدعوى عيد لهم، لكن السامري استغل الفرصة وحفر لهم حفرة وقال اقذفوا الذهب والحلي فيها فقذفناها، وأوقد فيها النار لتحترق، فكما ألقينا الحلي في الحفرة ألقى السامري ما معه ليصنع السامري لهم

(١) تفسير النسفي ٥٩٧/٣
(٢) الكشاف ٣٠٦/٦

العجل، هنا انتهى كلام المعتذرين، لتأتي قصة العجل الذي عبدوه. لكن هل قال المعتذرون: ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ﴾؟ الصحيح أن السياق يمنع هذا، فلم يكن هذا من قولهم، وإنما هو إخبار من الله تعالى للرسول ﷺ وأمتِه، ولذلك قال ابن عجيبة:"هو من كلام الله تعالى، حكاية لنتيجة فتنة السامري، قولا وفعلا، قصدًا إلى زيادة تقريرها، وتمهيدًا للإنكار عليهم، وليس من كلام المعتذرين، وإلا لقال: فَأَخْرجَ لنا"[(١)]، فقوله: (لهم) قرينة سياقية دالة على أنّ هذا ليس من جملة كلامهم. ولما حاول البعض أن يثبت أن قوله:﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ﴾ بأن قالوا:"علّق المتكلمون الإخرَاجَ والقولَ بالغائبين للدلالة على أن المتكلمين مع موسى لم يكونوا ممن اعتقد إلهية العجل، ولكنهم صانعَوا دهماء القوم، فيكون هذا من حكاية قول القوم لموسى... فيكون من تمام المعذرة التي اعتذر بها المجيبون لموسى، ويكون ضمير (فأخرج لهم) التفاتا قصد القائلون به التبرّي من أن يكون إخراج العجل لأجلهم، أي: أخرجَه لمن رغِبوا في ذلك"[(٢)]، قال أبو السعود:"الحملُ على أنّ عدولهم إلى ضمير الغيبة؛ لبيان أن الإخراج والقول المذكورين للكلّ لا للعبدة فقط، **خلاف الظاهر**، مع أنه مخلّ باعتذارهم؛ فإن مخالفة بعضهم للسامري وعدم افتتانهم بتسويله مع كون الإخراج والخطاب لهم مما يهون مخالفته للمعتذرين، فافتتانهم بعد ذلك أعظم جناية وأكثر شناعة، وأمّا ما قيل من أن المعتذرين هم الذين لم يعبدوا العجل وأن نسبة الإخلاف فيما بيننا بأمر كنا نملكه، بل تمكنت الشبهة في قلوب العبدة حيث فعل السامري ما فعل، فأخرج لهم ما أخرج وقال ما قال، فلم نقدر على صرفهم عن ذلك، ولم نفارقهم مخافة ازدياد الفتنة، **فيقضي بفساده سباق النظم الكريم وسياقه**"[(٣)].

---

(١) البحر المديد ٤٣٧/٤، وانظر أيضا: المحرر الوجيز ٥٩/٤، وتفسير الثعالبي ٦٤/٤، ٦٥، تفسير أبي السعود ٦٥٨/٣، وروح المعاني ٢٤٨/١٦

(٢) التحرير والتنوير ٢٨٥/١٦، ٢٨

(٣) تفسير أبي السعود ٦٥٨/٣، وانظر أيضا: روح المعاني ٢٤٨/١

(٦) ومن الدلائل السياقية أيضا قوله: ﴿ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ {يوسف: ٥١ – ٥٢}، فقوله: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ {يوسف: ٥١ – ٥٢}لا تكون إلا من كلام يوسف عليه السلام؛ لفتح همزة (أن الله) عطفا على (أني لم أخنه)، ولو كان استئنافا جديدا من الله تعالى لقال: (وإنّ الله لا يهدي كيدَ الخائنين).

(٧) ومن الدلائل السياقية أيضا قوله: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴾ {يونس: ٧٦ – ٧٧}، فقوله: ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا ﴾، لا تكون من مقول قول بني إسرائيل؛ وإنما هي من مقول موسى عليه السلام المتقدم؛ لأن الآية السابقة مباشرة تؤكد جزمهم بأنَّ ما جاء به موسى سحرٌ، لا ترددَ واستبطاءَ؛ فكيف يجزمون هناك ويترددون هنا والواقعة واحدة؟، أو كيف يستفهمون هنا وهم يحاربونه ويستعدونه أصلا؟، وإنما التقدير هنا: قال موسى: أتقولون للحق لما جاءكم: هذا سحرٌ، أسحرٌ هذا، "وإنما حذفت مقالتهم مدلولا عليها بجملة الإنكار"(١)، فجملة الإنكار محكية بالقول الأول لا بالقول الثاني. يقول الدكتور تمام:"وتأتي ضرورة التقدير من أن القول يفتقر إلى مقول، ولا تصلح جملة:﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا ﴾ أن تكون هذا المقولَ؛ لأنها استفهام، والاستفهام يدل على التردد وعدم الجزم، وهم في كفرهم أبعد ما يكونون عن التردد وعدم الجزم،من هنا يُقدر المحذوف خبرا مثبتا بحيث ينسجم مع مع اتهامهم للحق ودعواهم أنه سحر"(٢).

(٨) ومن الدلائل السياقية أيضا قوله تعالى: ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ

(١) مغني اللبيب ١٨٣/٥

(٢) البيان في روائع القرآن ص٢١٤

أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴾ {الشورى: ٤٥}، يقول ابن عاشور عن جملة ﴿ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴾:"وليست هذه الجملة من قول المؤمنين؛ إذ لا قِبَل للمؤمنين بأن يحكموا هذا الحكم، على أنَّ أسلوبَ افتتاحه يقتضي أنه كلامُ مَن بيده الحكم يوم القيامة وهو مَلِكُ يوم الدين، فهو كلام من جانب الله، أي وَهم معَ الندم وذلك الذل والخزي بسماع ما يكرهون في عذابٍ مستمر، وافتتحت الجملة بحرف التنبيه لكثرة ذلك في التذييلات لأهميتها"(١).

والسبب الثالث: أنَّ النظم القرآني يسمح بتدخل كلام الله تعالى بين ما ليس من كلامه، أو بين الكلامين المختلفين، بل هو عادة من عادات العرب في كلامها(٢). لقد تحدث الزركشي في كتابه "البرهان" عن باب مستقل سماه:"في أساليب القرآن وفنونه البليغة" وأثناء حديثه تحدث عن أحد هذه الأساليب وسماه "المدرج" أي: النظم المدرج، اقتداء بالحديث المدرج في علم مصطلح الحديث(٣)، وعرف الزركشي النظم المدرج، بقوله:"أن تجيء الكلمة إلى جنب

(١) التحرير والتنوير ١٢٩/٢٥

(٢) انظر: الإتقان ص٥٨١

(٣) الحديث المدرج هو "أن يذكر الراوي عقيب حديث النبي ﷺ كلاما لنفسه، أو لغيره، فيرويه من بعده متصلا بالحديث من غير فصل، فيُتوهم أنه من تتمة الحديث المرفوع، ويُدرك ذلك بوروده مفصلا في رواية أخرى، أو بالتنصيص على ذلك من الراوي، أو بعض الأئمة المطلعين، أو باستحالة كونه ﷺ يقول ذلك" تدريب الراوي، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت:٩١١هـ)، تحقيق/ مازن بن محمد السرساوي، دار بن الجوزي، ط١، الرياض، السعودية، ١٤٣١هـ، ص٤١٣، يقول السيوطي:"هذا القسم يسمى مدرج المتن، ومقابله مدرج الإسناد ... فأما مدرج المتن فتارة يكون في آخر الحديث وتارة في أوله وتارة في وسطه، ... والغالب وقوع الإدراج آخر الخبر، ووقوعه أوله أكثر من وسطه؛ لأن الراوي يقول كلاما يريد أن يستدل عليه بالحديث، فيُتوهم أن الكلَّ حديثٌ" تدريب الراوي ص٤١٦، ومنه حديث ابن مسعود ﷺ قال: قال النبي ﷺ:"من مات لايشرك بالله شيئا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله =

أخرى كأنها في الظاهر معها وهي في الحقيقة غير متعلقة بها"(١)، بمعنى آخر أنه "قد تأتي العرب بكلمة إلى جانب كلمة أخرى كأنها معها وهي غير متصلة بها"(٢)، وهو ماقصده الفراء قبله حين قال:"وربّما وُصل الكلامُ بالكلام، حتى كأنه قولُ واحدٍ وهو كلامُ اثنين"(٣)، ثم ذكر الزركشي أمثلة للنظم المدرج، منها:

قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ {النمل: ٣٤}، يقول الزركشي عن قوله:﴿ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾:"هو من قول الله لا من قول المرأة"(٤)

وقوله تعالى: ﴿ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ {يوسف: ٥١ – ٥٢}، يقول الزركشي:"انتهى قول المرأة ثم قال يوسف عليه السلام: ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ ﴾ معناه ليعلم الملك أني لم أخنه"(٥)

=شيئا دخل النار"، فقوله "ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار" مدرج من كلام ابن مسعود بدليل الروايات الأخرى التى جاءت خالية منه وداعمة لهذا الإدراج، ومنه حديث أبي هريرة، قال: قال النبي ﷺ:"للعبد المملوك أجران، والذي نفسي بيده لولا الجهاد في سبيل الله والحج وبر أمي، لأحببت أن أموت وأنا مملوك" فقوله:"والذي نفسي بيده...إلخ" مدرج من كلام أبي هريرة؛ لعدم جواز تمنيه الرق، وعدم وجود أمه وقتئذ، ومنه حديث أبي هريرة رضي الله عنه أيضا، قال: قال رسول الله ﷺ:"أسبغوا الوضوء، ويلٌ للإعقاب من النار" فقوله:"أسبغوا الوضوء" مدرج من كلام أبي هريرة. انظر: تدريب الراوي ص٤١٥، ٤١٦

(١) البرهان ٣/٢٩٤

(٢) الإتقان ص٥٨١

(٣) معاني القرآن ٢/٤٧

(٤) البرهان ٣/٢٩٤

(٥) البرهان ٣/٢٩٤

وقوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾{يس: ٥٢}، يقول الزركشي:"﴿ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ﴾ تم الكلام، فقالت الملائكة: ﴿ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾"(١)، ويقول السيوطي:"عن قتادة في هذه الآية قال: آية من كتاب الله أولها أهل الضلالة وآخرها أهل الهدى: ﴿ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ﴾ هذا قول أهل النفاق، وقال أهل الهدى حين بعثوا من قبورهم: ﴿هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾"(٢).

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ {الأعراف: ١٠٩ – ١١٠}، يقول الزركشي:"ثم أخبر عن فرعون متصلا: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾"(٣)، فهو قول فرعون لا قولُ الملأ. فالجملة محكية بقول آخر محذوف؛"لأن قولهم تم عند قوله:﴿مِّنْ أَرْضِكُمْ ﴾، ثم التقدير: فقال فرعون، بدليل: ﴿ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾ {الأعراف: ١١١}"(٤)؛ فهذا جوابٌ لسؤال فرعون ﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾؟ ومنه قول الشاعر(٥): {الرجز}

قالتْ له وهْوَ بعيشٍ ضنكِ ... لا تُكْثِري لوْمِي وخَلِّي عنْكِ

(١) البرهان ٣/٢٩٤
(٢) الإتقان ص٥٨٢
(٣) البرهان ٣/٢٩٥
(٤) مغني اللبيب ٥/١٨١
(٥) انظر البيت في: مغني اللبيب ٥/١٨١

"التقدير قالت له: أتذكرُ قولَك لي إذ ألومك في الإسراف في الإنفاق: لا تكثري لومي فحذف المحكية بالمذكور وأثبت المحكية بالمحذوف"(١)، أي: قالت له: أتذكر نصيحتي لك بعدم الإسراف، قال لها: لا تكثري...

وقوله تعالى: ﴿ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴾ {ص: ٥٩}، يقول الزركشي:"فالظاهر أنَّ الكلام كلَّه من كلام الزبانية، والأمر ليس كذلك"(٢)، يقول الشوكاني:"﴿ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ﴾... هذا حكاية لقول الملائكة الذين هم خزنة النار؛ وذلك أن القادة والرؤساء إذا دخلوا النار ثم دخل بعدهم الأتباع، قالت الخزنة للقادة: هذا فوج يعنون الأتباع مقتحم معكم: أي داخل معكم إلى النار، وقوله: ﴿ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ ﴾ من قول القادة والرؤساء لما قالت لهم الخزنة ذلك، قالوا: ﴿ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ ﴾: أي لا اتسعت منازلهم في النار...وجملة ﴿ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ ﴾ دعائية لا محل لها من الإعراب... وجملة ﴿ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴾ تعليل من جهة القائلين لا مرحبا بهم"(٣)، يؤكد هذا جواب الأتباع الآتي: ﴿ قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴾ {ص: ٦٠}، وإنما دَعَى الرؤساء على الأتباع؛ "لأن الرئيس إذا رأى الخسيس قد قرن معه في العذاب، ساءه ذلك حيث وقع التساوي في العذاب"(٤)، جريا على سوء

(١) مغني اللبيب ١٨١/٥، ١٨٢

(٢) البرهان ٢٩٥/٣

(٣) فتح القدير ص١٢٧٠، وانظر أيضا: تفسير الطبري ١٣٤/٢٠، وتفسير البغوي ٩٩/٧، والكشاف ٢٧٧/٥، والجامع لأحكام القرآن ٢٢٣/١٥، وتفسير البيضاوي ٣٣/٥، والتسهيل ٢٥٩/٢، والبحر المحيط ٣٨٨/٢٧، والدر المصون ٣٩١/٩، وتفسير أبي السعود ٥٨٥/٤، والبحر المديد /٣٤٩، وروح المعاني ٢١٦/٢٣، والتحرير والتنوير ٢٨٨/٢٣

(٤) البحر المحيط ٣٨٨/٧، وانظر أيضا: تفسير أبي السعود ٥٨٥/٤، والتحرير والتنوير ٢٨٩/٢٣

أخلاقهم من الكبر واحتقار الضعفاء، فظاهر الكلامِ أنه كلام واحد متصل، والواقع أنه كلامان، يقول الطبري:"ولكن الكلام اتصل فصار كأنه قول واحد، كما قيل: ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ {الأعراف: ١١٠} فاتصل قول فرعون بقول ملئه"[١]، وهكذا يسير القرآن في "تفنّن الأغراض لتجديد نشاط الأذهان"[٢] كما يقول ابن عاشور .

وقد كنت أحسب أنَّ الزركشي هو أول من أشار إلى النظم المدرج في الأسلوب القرآني، لكن الحقيقة أنه مسبوق بابن هشام، يقول ابن هشام:"قد يوصل بالمحكية غير محكي، وهو الذي يسميه المحدثون مدرجا، ومنه ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ {النمل: ٣٤} بعد حكاية قولها، وهذه الجملة ونحوها مستأنفة لا يقدر لها قول"[٣].

وقد سبقهما ابنُ فارس في كتابه "الصاحبي" لكنه لم يسمه "مدرجا"، قال:"باب آخر من نظوم القرآن، وذلك أن تجيءَ الكلمة إلى جنب الكلمة كأنها في الظاهر معها، وهي في الحقيقة غير متصلة بها: قال الله جلّ ثناؤه: ﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ {النمل: ٣٤}، فقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ ومن قولِ الله جلّ اسمه لا قول المرأة ومنه: ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ {يوسف: ٥١ – ٥٢} انتهى قول المرأة، ثم قال يوسف: ذلك ليعلم المَلِكُ أني لم أخنْه بالغيب، ومنه: ﴿ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ﴾ { يس: ٥٢} وتمَّ الكلام، فقالت

(١) تفسير الطبري ٢٠/١٣٤

(٢) التحرير والتنوير ١٦/٢٣٥

(٣) مغني اللبيب ٥/١٨٣، ١٨٤

الملائكة:"﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴾{يس: ٥٢}"[١]، وهذا النص نقله عن ابن فارس ابنُ الجوزي في كتابه "المدهش" والسيوطي في كتابه "الإتقان".

وتناول السيوطي هذا الموضوع أيضا في كتابه "الإتقان" في باب سماه "في بيان الموصول لفظا المفصول معنى"[٢]، ولم يسمه "مدرجا" نقل فيه الأمثلة نفسها التي ذكرها ابن ابن فارس وابن هشام والزركشي.

لكنَّ السؤال هو: كيف يتوصل السامع أو القارئ إلى التمييز بين المعاني والفصل بين الألفاظ؟ أو كيف يتم الفصل بين ما هو من مقول القول وما هو خارج عن مقول القول، وليس منه؟

لا يمكن أن تغفل العربية عن قدرة أبنائها على فهم النصوص وإدراكها وفطنة متكلميها إلى التقاط المعاني، كما لا يمكن أن تغفل أيضا عن إحاطة السياقات والنظوم بالعلامات الفارقة والقرائن الدالة، يقول الفراء:"ولا يبعد وصلُ كلام إنسان بكلام آخر إذا دلت القرينة عليه، ومثاله قوله تعالى: ﴿ قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۖ ﴾{النمل: ٣٤} هذا كلام بلقيس، ثم قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ ﴾{آل عمران: ٩} كلام الداعي، ثم قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴾"[٣].

ولما تعرض الطبري لقوله تعالى: ﴿ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٥١ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي

(١) الصاحبي ص٤٠٦، وانظر أيضا: المدهش، للإمام الحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت:٥٩٧هـ)، تحقيق الدكتور/ مروان قباني، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٣٨، والإتقان ص٥٨١

(٢) انظر: الإتقان (النوع التاسع والعشرون) ص٥٧٦ : ٥٨٢، وانظر أيضا: الكليات ص١١٠

(٣) السراج المنير ٩٢/٢، وانظر أيضا: معاني القرآن للفراء ٤٧/٢

كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ {يوسف: ٥١ – ٥٢}، قال:"اتصل قوله: ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ ﴾، بقول امرأة العزيز: ﴿ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾، **لمعرفة السامعين لمعناه،** كاتصال قول الله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾، بقول المرأة: ﴿ وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ﴾ {النمل: ٣٤} وذلك أن قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ ، خبر مبتدأ ، وكذلك قول فرعون لأصحابه في سورة الأعراف، ﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ {الأعراف: ١١٠}، وهو متصل بقول الملأ: ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ﴾"(١) ، وقال الثعلبي:"وفرّقَ بينهما معرفة السامعين معناه"(٢)

---

(١) تفسير الطبري ٢١٠/١٣

(٢) الكشف والبيان، المعروف بتفسير الثعلبي، لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم المعروف بالإمام الثعلبي (ت:٤٢٧هـ)، تحقيق/ الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢م، ٢٢٩/٥

المطلب الخامس

أثر القراءات القرآنية في توجيه الوقف والابتداء

في تذييل جملة مقول القول

لقد كان للقراءات القرآنية أثر ظاهر في تعدد احتمال إتمام جملة مقول القول، وتعدد الوقف فيها، وكان لها القدرة كذلك على تعيين ما قيل وما لم يُقلْ، فعلى قراءة كانت الجملة من مقول الله تعالى، وعلى قراءة كانت الجملة من مقول غيره؛ لأن التمامَ و"الوقفَ تابعٌ للقراءة المتلوة"(١)، فصار "تنوع القراءات يقوم مقام تعدد الآيات"(٢)، وسببا من أسباب ثرائها الدلالي، وقد شكَّلت ظواهر هذا المطلب جزءا أصيلا من جزئيات هذا البحث وإن لم تشغل مساحةً كبيرة في القرآن الكريم، وكان مما ورد من ذلك:

(١) قوله تعالى: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ {النمل: ٢٢ – ٢٦}

يتحدثُ السياقُ عن هدهد سيدنا سليمان عليه السلام الذي غاب فترة من الزمن عن سليمان، ثم جاءه فقال له: إنني اطلعت على ما لم تطلع عليه وجئتك بالخبر الصادق الذي لا شك فيه، وأخذ يبين محتوى الخبر، فقال: إني وجدت امرأة وهي بلقيس أوتيت من أسباب القوة ومظاهر الملك، وجدتها وقومها يسجدون للشمس مِنْ دُونِ الله، فهم لذلك لا يهتدون، هذا ماقاله الهدهد، لا

---

(١) الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى ص٣٣٩

(٢) الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى ص٣٣٩

خلاف فيه، وإنما الخلاف في قوله: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾

اختلف القراء في قوله ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾، فقرأ الجمهور (ألَّا) بتشديد اللام، وقرأ ابن عباس والكسائي (ألَا) بالتخفيف[١]، وبناء على هذا الاختلاف يتعدد احتمال تما جملة مقول القول، ويتعدد الوقف فيها.

أمَّا قراءة الجمهور، فـ(ألَّا) فيها مكونة من (أنْ) المصدرية و(لا) النافية[٢]، والفعل (يسجدوا) منصوب بـ(أن) ، و(أن) والفعل في موضع نصب، من (أعمالَهم)، وما بينهما اعتراض، أي: وزين لهم الشيطان عدم السجود، أو في موضع جر، من (السبيلِ) و(لا) زائدة، وما بينهما اعتراض، أي: فصدهم عن السجود لله تعالى، ويجوز أن يكون (أن) والفعل في موضع نصب مفعولا له أيضا، إما متعلَّقُه (زين)، أي: زين لهم لئلا يسجدوا، وإما متعلَّقُه (صدّ)، أي: صدهم عن السبيل لئلا يسجدوا، أي: علة التزيين أو علة الصد هي عدم السجود لله، ويجوز أن يتكون (أن) والفعل في محل نصب أيضا مفعولا به للفعل (يهتدون) و(لا) زائدة، أي: لا يهتدون إلى السجود، فلما حذف حرف الجر تعدى الفعل إليها فنصبَ، وكل هذه المعاني النحوية والدلالية تؤكد أنّ النظم متصلٌ والكلام موصول، وجملة (ألّا) من مقول قول الهدهد، وتمام الوقف على ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾، يقول مكي:"ولا يحسن في جميع هذه

---

(١) انظر: السبعة ص٤٨٠، والجامع لأحكام القرآن ٣/١٨٥، ١٨٦، والبحر المحيط ٦٥/٧، والنشر ٢/٢٥٣

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه ١١٥/٤، وإعراب القرآن ٢٠٦/٣، وحجة القراءات، للإمام الجليل عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة (ت:٤٠٣هـ)، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م، ص٥٢٧، والكشف ١٥٧/٢، والتبيان ٦٣١/٢، والكشاف ٤٥٠/٤، والجامع لأحكام القرآن ١٨٥/٣، والبحر المحيط ٦٥/٧، ٦٦، والدر المصون ٦٠٠/٨

الوجوه الوقف على ما قبل (ألَّا)، ولا الابتداء بـ(ألَّا)؛ لأنك تفرق بين العامل والمعمول فيه"(١)، وعلى هذا يكون الكلام في قراءة التشديد "متسقا"(٢)؛ لأنه "خبر يتبع بعضُه بعضا، لا انقطاع في وسطه"(٣).

وأما قراءة ابن عباس والكسائي، فـ(ألا) فيها حرف حرف تنبيه واستفتاح لا محل له، وأصل الكلام: ألا يا اسجدوا(٤)، وسقط ألف (يا) وألف (اسجدوا) خطا لما سقطا صوتا، والمنادى محذوف، و(يا) دالة عليه، تقديره: يا هؤلاءِ، أو يا قوم، أو يا أيها الناس، وهو جائز في لغة العرب، فقد سُمع عن العرب: "ألا يا ارحمنا، ألا يا تصدّقْ علينا"، يقول السمين:" واعلم أنَّ الكسائي الوقفُ عنده على (يهتدون) تام"(٥)، ويقول الآلوسي:"ويوقف على هذه القراءة على (يَهْتَدُونَ)"(٦)، ويكون هذا الكلام من كلام الله تعالى، وهو اعتراضٌ "يسدد القصة"(٧) بين الكلامين، كلام الهدهد وكلام سليمان الآتي، ففي هذه القراءة "انقطاع الخبر عن أمر سبأ، ثم رجع بعدُ إلى ذكرهم"(٨).

---

(١) الكشف ١٥٧/٢، وانظر أيضا: القطع والائتناف ٥٠٠/٢، ومنار الهدى ص٢٨٤، والمقصد ص٢٨٤

(٢) معاني القرآن للنحاس ١٢٧/٥، وإعراب القرآن ٢٠٧/٣

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٨٦/٣

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء ٢٩٠/٢، وتفسير الطبري ٤١/١٨، ومعاني القرآن للنحاس ١٢٦/٥، وحجة القراءات ص٥٢٦، والكشف ١٥٧/٢، ١٥٨، والكشاف٤٤٨/٤، والجامع لأحكام القرآن١٨٦/٣، والبحر المحيط ٦٦/٧، والدر المصون ٥٩٨/٨، ٦٠١

(٥) الدر المصون ٦٠١/٨

(٦) روح المعاني ١٩١/١٩

(٧) الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي (ت:٣٧٧هـ)، تحقيق/ بدر الدين قهوجي، وبشير جويجالي، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١، ١٤٠٤هـ ت ١٩٨٤م، ٣٨٣/٥

(٨) الجامع لأحكام القرآن ١٨٦/٣، وانظر أيضا: حجة القراءات ص٥٢٧

وفرّق النحاة والمفسرون بين القراءتين من حيث الوقف وتذييل جملة مقول القول، فقالوا:"إذا خفّف وقف على ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾، ثم ابتدأ ﴿أَلَا يَسْجُدُوا﴾، ... وإذا شدّد لم يقف إلا على ﴿الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾"[١]، وقالوا: "قراءة التشديد في (ألَّا) تعطي أنَّ الكلام للهدهد، وقراءة التخفيف تمنعه"[٢].

(٢) وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ {آل عمران: ٣٥ – ٣٦}

---

(١) الكشاف ٤/٤٥٠، وانظر أيضا: إيضاح الوقف والابتداء٢/٨١٦، والقطع والائتناف ٢/٤٩٩، ٥٠٠، ومعاني القرآن للنحاس ٥/١٢٧، وبحر العلوم ٢/٤٩٣، ٤٩٤،والمكتفى ص٤٢٩، والمحرر الوجيز ٤/٢٥٦، وتفسير الرازي ٢٤/١٩٣، وتفسير البيضاوي ٤/١٥٩، وتفسير النسفي ٢/٦٠١، وتفسير الثعالبي ٤/٢٤٨، ومنار الهدى ص٢٨٤، والمقصد ص٢٨٤، وتفسير أبي السعود ٤/٢٥٦

(٢) المحرر الوجيز ٤/٢٥٦، وانظر أيضا: الجامع لأحكام القرآن٣/١٨٧، وتفسير الثعالبي الثعالبي ٤/٢٤٨، والحق أنه يجوز على قراءة التخفيف أن يكون الكلام للهدهد أيضا، يقول الآلوسي: "وعلى هذه القراءة يحتمل أن يكون الكلام استئنافا من كلام الهدهد إما خطابا لقوم سليمان عليه السلام للحث على عبادة الله تعالى، أو لقوم بلقيس لتنزيلهم منزلة المخاطبين، ويحتمل أن يكون استئنافا من جهة الله عز وجل ...ولعل الأظهر احتمال كونه استئنافا من جهته عز وجل، وخاطب سبحانه به هذه الأمة، والجملة معترضة، ويوقف على هذه القراءة على (يَهْتَدُونَ)" روح المعاني ١٩/١٩١، وأجاز ابن زنجلة في كتابه"حجة القراءات" أن يكون من كلام الهدهد، انظر: حجة القراءات ص٥٢٦، ويجب أن ينوه البحث هنا على أمر قد تكرر من بعض النحاة، وهو أن يجعل الكلام استئنافا وهو من كلام المتقدم (الهدهد)، كما فعل الآلوسي هنا، فقال:"وعلى هذه القراءة يحتمل أن يكون الكلام استئنافاً من كلام الهدهد"، فهل هذه العبارة تجوُّز منه، لأنها إن كانت استئنافا فهي ليست من كلام الهدهد، فالاستئناف يعني الانقطاع، وكونها من كلام الهدهد تعني أن الكلام متصل لا من منقطع.

يتحدث السياق عن قول امرأة عمران: ﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ فقد سألت ربها أن يرزقها ولدا وتجعله لله يعبده ويخدم بيته، فاستجاب الله تعالى لها فحملت، ولما حان وقت الولادة ولدت، ولكن ولدت أنثى لا ذكرا، فتحسرت لذلك وحزنت؛ لأنهم كانوا لا يحررون الإناث للقيام بخدمة المساجد، وقالت معتذرةً: ﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ ... وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ﴾ أي: في باب الخدمة في بيت المقدس، هذا ما قالته امرأة عمران، لا خلاف فيه، وإنما الخلاف في قوله: ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾ كلام مَن؟

اختلف القراء في قوله: ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾، فقرأ الجمهور (وضعَتْ) بفتح العين وإسكان التاء، وقرأ ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر ويعقوب (وضعْتُ) بضم التاء وإسكان العين[1].

أمَّا قراءة الجمهور، فجملة ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾ جملة اعتراضية، من كلام الله تعالى، لا محل لها، منقطعة عما قبلها، وتاء التأنيث الساكنة راجعة إلى امرأة عمران، فكأنها لما قالت: ﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ ﴾ قال الله: ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾ "تعظيما لوضعها"[2]، قاله "على جهة التعظيم لما وضعته

---

(١) انظر: السبعة ص٢٠٤، و الجامع لأحكام القرآن ٦٧/٤، والبحر المحيط ٤٥٧/٢، والنشر ١٨٠/٢

(٢) التسهيل ١٤٢/١، وانظر أيضا: معاني القرآن للفراء ٢٠٧/١، وتفسير الطبري ٣٣٦/٥، وإيضاح الوقف والابتداء ٥٧٥/١، والقطع والائتناف ١٣٢/١، ١٣٣، ومعاني القرآن للنحاس ٣٨٧/١، وبحر العلوم ٢٦٢/١، والحجة للقراء السبعة ٣٢/٣، ٣٣، وحجة القراءات ص١٦٠، ١٦١، والكشف ٣٤٠/١، ومشكل إعراب القرآن ١٣٦/١، والمكتفى ص٢٠٠، وتفسير البغوي ٣٠/٢، وتفسير الكشاف ٥٥٠/١، والمحرر الوجيز ٤٢٤/١، وتفسير الرازي ٢٨/٨، والجامع لأحكام القرآن ٦٧/٤، وتفسير البيضاوي ١٤/٢، وتفسير النسفي ٢٥٠/١، والبحر المحيط ٤٥٧/٢، والدر المصون ١٣٥/٣، وتفسير الثعالبي ٣٤/٢، ومنار الهدى ص٧٦، والمقصد ص٧٥، ٧٦، وتفسير أبي السعود ٤٧٠/١، والبحر المديد ١١٢/١، ٤١٤، وفتح القدير ص٢١٤، وروح المعاني ١٣٥/٣، والتحرير والتنوير ٢٣٣/٣

والتفخيم لشأنه والتجليل لها، حيث وقع منها التحسُّر والتحزن مع أن هذه الأنثى التي وضعتها سيجعلها الله وابنها آية للعالمين وعبرة للمعتبرين ويختصها بما لم يختص به أحدا "[(١)]، فـ"ليس المراد الرد عليها في إخبارها بما هو سبحانه أعلم به كما يتراءى من السياق بل الجملة اعتراضية سيقت لتعظيم المولود الذي وضعته"[(٢)]، فمقصود المعنى بهذا الاعتراض "أنّ الله أعلم منها بنفاسة ما وضعت، وأنها خير من مطلق الذكر الذي سألْته، فالكلام إعلام لأهل القرآن بتغليطها، وتعليمٌ بأنّ من فوّض أمره إلى الله لا ينبغي أن يتعقّبَ تدبيرَه"[(٣)]، فلجهلها بهذا تحسرت على ولادة الأنثى، وعلى أية حال الكلام منقطع، والوقف على﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ ﴾، يقول مكي:"من فتح العين وأسكن التاء ابتدأ به؛ لأنه ليس من كلام أم مريم"[(٤)].

وأما قراءة ابن عامر، فجملة ﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وضَعۡتُ ﴾ جملة من مقول قول امرأة عمران، في محل نصب، والكلام متصل، من تمام تحسرها وتحزنها، والتاء ضمير المتكلم راجع إلى امرأة عمران، خاطبت نفسها بذلك، "والفائدة في هذا الكلام أنها لما قالت ﴿ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ ﴾ خافت أن يظن بها أنها تخبر الله تعالى، فأزالت الشبهة بقولها: ﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وضَعۡتُ ﴾، وثبت أنها إنما قالت ذلك للاعتذار لا للإعلام"[(٥)]، والكلام على هذا الوجه فيه التفات من الخطاب

---

(١) فتح القدير ص٢١٤، وانظر أيضا: الكشاف ٥٥٠/١، وتفسير الرازي ٢٨/٨، وتفسير أبي السعود ٤٧٠/١

(٢) روح المعاني ١٣٥/٣

(٣) التحرير والتنوير ٢٣٣/٣

(٤) مشكل إعراب القرآن ١٣٦/١

(٥) تفسير الرازي ٢٨/٨، وانظر أيضا: معاني القرآن للفراء ٢٠٧/١، وتفسير الطبري ٣٣٦/٥، وإيضاح الوقف والابتداء ٥٧٥/١، والقطع والائتناف ١٣٢/١، ١٣٣، ومعاني القرآن للنحاس ٣٨٧/١، وبحر العلوم ٢٦٢/١، والحجة للقراء السبعة ٣٢/٣، ٣٣، وحجة القراءات ص١٦٠، ١٦١، والكشف ٣٤٠/١، ومشكل إعراب القرآن=

إلى الغيبة؛ لأنها قالت:﴿ رَبِّ ﴾ بالخطاب، فكان مقتضى الخطاب أن تقول: وأنتَ أعلم بما وضعتُ، وغرض الالتفات "إظهارٌ لغاية الإجلال، فيكون ذلك منها اعتذارا إلى الله تعالى حيث أتت بمولود لا يصلح لما نذرته من السدانة أو تسليةً لنفسها على معنى لعلّ لله تعالى فيه سرا وحكمة، ولعلّ هذه الأنثى خيرٌ من الذكر"(١)، وعلى أية حال الكلام متصل، والوقف على آخر الآية عند قوله: ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾، يقول مكي:"من ضمَّ التاء وأسكنَ العينَ لم يبتدئ بقوله: ﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعۡتُ ﴾ لأنه من كلام أم مريم"(٢)، والكلام متصل.

وفرّق النحاة والمفسرون بين القراءتين من حيث تمام الجملة والوقف والابتداء فيها، فقالوا:"﴿ وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ ﴾تام، وقال أبو عمرو: كاف، هذا على قراءة من سكَّن التاء من قوله:﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعۡتُ ﴾ لأنه إخبار من الله تعالى، فهو مستأنف، ومن قرأ بضم التاء لم يقف على﴿ أُنثَىٰ ﴾"(٣)

=١٣٦/١، والمكتفى ص٢٠٠، وتفسير البغوي ٣٠/٢، وتفسير الكشاف ٥٥٠/١، والمحرر الوجيز ٤٢٤/١، والجامع لأحكام القرآن ٦٧/٤، وتفسير البيضاوي ١٤/٢، وتفسير النسفي ٢٥٠/١، والتسهيل ١٤٢/١، والبحر المحيط ٤٥٧/٢، والدر المصون ١٣٥/٣، وتفسير الثعالبي ٣٤/٢، ومنار الهدى ص٧٦، والمقصد ص٧٥، وتفسير أبي السعود ٤٧٠/١، والبحر المديد ١١٢/١، ٤١٤، وفتح القدير ص٢١٤، وروح المعاني ١٣٥/٣، والتحرير والتنوير ٢٣٣/٣، والوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى ص٥١، فتح القدير ص٢١٤، وانظر أيضا: الكشاف ٥٥٠/١، وتفسير الرازي ٢٨/٨، وتفسير أبي السعود ٤٧٠/١.

(١) تفسير أبي السعود ٤٧٠/١، وانظر أيضا: الكشاف ٥٥١/١، وروح المعاني ١٥٣/٣

(٢) مشكل إعراب القرآن ١٣٦/١

(٣) المقصد ص٧٥، ٧٦، وانظر أيضا: إيضاح الوقف والابتداء ٥٧٥/٢، والقطع والائتناف ١٣٢/١، والمكتفى ص٢٠٠، ومنار الهدى ص٧٦

(٣) وقوله: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ {النمل: ٨٢}

يتحدث السياق عن بدايات الساعة وأشراطها، وهو خروج الدابة حين يتوجب سخط الله وعذابه، فإذا خرجت الدابة لا يقبل الله من كافر إيمانَه[(١)]، هذا لا خلاف فيه، وإنما الخلاف في قوله: ﴿ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ كلام مَن؟

قرأ الجمهور قوله: ﴿ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ بكسر همزة (إنَّ)، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي والحسن وزيد بن علي بفتح الهمزة[(٢)].

أمَّا قراءة الجمهور، فقوله: ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ استئناف جديد من كلام الله تعالى، "مسوق من جهته تعالى لتعليل إخراجها أو تكليمها"[(٣)]، فهو "تعليل لإظهار هذا الخارق للعادة، حيث لم يوقن المشركون بآيات القرآن، فجعل ذلك إلجاءً لهم حين لا ينفعهم"[(٤)]، والكلام قد انقطع وتم عند قوله: ﴿ تُكَلِّمُهُمْ ﴾ والوقف عليه، ثم يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ ، يقول الشوكاني:"وأما على قراءة الكسر فالجملة مستأنفة،

(١) يقول القرطبي:"في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض" الجامع لأحكام القرآن ٢٣٥/١٣

(٢) انظر: السبعة ص٤٨٦، ٤٨٧، والجامع لأحكام القرآن ٢٣٨/١٣، والبحر المحيط ٩٢/٧

(٣) تفسير أبي السعود ٢٨٣/٤

(٤) التحرير والتنوير ٣٩/٢٠

ولا تكون من كلام الدابة، وقد صرح بذلك جماعة من المفسرين وجزم به الكسائي والفراء"(١)، واستظهره أبو حيان(٢)والسمين(٣).

وأمَّا قراءة عاصم، فقوله:﴿ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾متعلق بـ(تكلمهم) على حذف حرف الجر، أي: تكلمهم بأنَّ الناس(٤)، والمعنى:"تكلمهم

---

(١) فتح القدير ص١٠٨٩، وانظر أيضا: معاني القرآن للفراء ٣٠٠/٢، وإعراب القرآن ٢٢٢/٣، وبحر العلوم ٥٠٥/٢، وحجة القراءات ص٥٣٨، ومشكل إعراب القرآن ١٥٥/٢، وتفسير البغوي /١٧٧، والكشاف ٤٧٤/٤، والبيان في غريب إعراب القرآن، لأبي البركات بن الأنباري (ت:٥٧٧هـ)، تحقيق/ طه عبد الحميد طه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٠هـ ــ ١٩٨٠م، ٢٢٧/٢، وتفسير الرازي ٢١٨/٢٤، والجامع لأحكام القرآن ٢٣٨/١٣، والتسهيل ١٣٧/٢، والبحر المحيط ٩٢/٧، والدر المصون ٦٣٤/٨، وتفسير أبي السعود ٢٨٢/٤، ٢٨٣، وروح المعاني ٢٥/٢٠، والتحرير والتنوير ٣٩/٢٠

(٢) انظر: البحر المحيط ٩٢/٧، وجوز بعض النحاة والمفسرين أن يكون قوله: (إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) حكاية لقول الدابة، إما على أن الكلام بمعنى القول، وإما على إضمار قول جديد، يدل عليه (تكلمهم)، أي: تكلمهم، تقول لهم: إن الناس ....، قالوا: وإضمار القول في الكلام كثير" انظر: تفسير الطبري ١٢٨/١٨، والحجة للقراء السبعة ٤٠٦/٥، والكشف ١٦٧/٢، والوجيز ص٨١٠، والكشاف ٤٧٤/٤، وتفسير الرازي ٢١٨/٢٤، وتفسير النسفي ٦٢٢/٢، والبحر المحيط ٩٢/٧، والدر المصون ٦٣٤/٨، وتفسير أبي السعود ٢٨٣/٤، وروح المعاني ٢٥/٢٠

(٣) انظر: الدر المصون ٦٣٤/٨

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء ٣٠٠/٢، إعراب القرآن ٢٢٢/٣، وبحر العلوم ٥٠٥/٢، وحجة القراءات ص٥٣٨، ومشكل إعراب القرآن ١٥٥/٢، وتفسير البغوي /١٧٧، والكشاف ٤٧٤/٤، والمحرر الوجيز ٢٧١/٤، والبيان في غريب إعراب القرآن ٢٢٧/٢، وتفسير الرازي ٢١٨/٢٤، والجامع لأحكام القرآن ٢٣٨/١٣، وتفسير البيضاوي ١٦٦/٤، والتسهيل ١٣٧/٢، والبحر المحيط ٩٢/٧، والدر المصون ٦٣٣/٨، وتفسير الثعالبي ٢٥٩/٤، وتفسير أبي السعود ٢٨٢/٤، ٢٨٣، وفتح القدير ص١٠٨٩، وروح المعاني ٢٥/٢٠، والتحرير والتنوير ٣٩/٢٠

بأنهم كانوا لا يوقنون بآيات الله تعالى الناطقة بمجئ الساعة...، وإضافة الآيات إلى نون العظمة لأنها حكاية منه تعالى لمعنى قولها لا لعين عبارتها، وقيل: لأنها حكاية منها لقول الله عز و جل"(١)، ويجوز أن تكون الإضافة لإرادة "بآيات ربنا، أو لاختصاصها بالله تعالى أضافت آيات الله إلى نفسها، كما يقول بعض خاصة الملك: خيلُنا وبلادنا، وإنما هي خيل مولاه وبلاده"(٢)، ويرى أبو عبيدة ومكي وابن الأنباري أن قوله (أن الناس) مفعول (تكلمهم)، أي: تخبرهم أن الناس(٣)، وهو تضمين الكلام معنى الإخبار، وعلى هذين القولين يكون الكلام من "حكاية قول الدابة"(٤)، والكلام متصل، وتمام الوقف عند ﴿لَا يُوقِنُونَ﴾ يؤكد هذا ما روي أن قراءة ابن مسعود(٥): تكلمهم بأن الناس.

وفرَّق النحاة والمفسرون بين القراءتين من حيث الوقفُ والابتداء، فقالوا:" ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ تام، لمن قرأ (إنَّ الناس) بكسر الهمزة، وليس بوقف لمن قرأ بفتحها؛ لأنَّ المعنى عليه: تكلمهم بأن الناس"(٦).

---

(١) تفسير أبي السعود ٢٨٢/٤، ٢٨٣، وانظر أيضا: روح المعاني ٢٤/٢٠

(٢) تفسير الرازي ٢١٨/٢٤، وانظر أيضا: الكشاف ٤٧٤/٤، والبحر المحيط ٩٢/٧

(٣) انظر: إعراب القرآن ٢٢٢/٣، ومشكل إعراب القرآن ١٥٥/٢، والبيان في غريب إعراب القرآن ٢٢٧/٢، والجامع لأحكام القرآن ٢٣٨/١٣، وفتح القدير ص١٠٨٨

(٤) بحر العلوم ٥٠٥/٢، وانظر أيضا: المحرر الوجيز ٢٧١/٤، وتفسير الثعالبي ٢٥٩/٤، وروح المعاني ٢٤/٢٠، وجعل ابن عاشور الباء للسببية؛ رافضا أن تكون جملة (أن الناس) من جمله كلام الدابة، انظر: التحرير والتنوير ٣٩/٢٠

(٥) انظر: الكشف ١٦٧/٢، والمحرر الوجيز ٢٧١/٤، وتفسير الرازي ٢١٨/٢٤، والجامع لأحكام القرآن ٢٣٨/١٣، والبحر المحيط ٩٢/٧

(٦) المقصد ص٢٨٧، وانظر أيضا: إيضاح الوقف والابتداء ٨٢٠/٢، والقطع والائتناف ٨٨/٢، ٨٩، والمكتفى ص٤٣٢، ٤٣٣، ومنار الهدى ص٢٨٧

الخاتمة

تناول هذا البحث "تعدد احتمال إتمام جملة مقول القول، دراسة سياقية في تذييل جملة المقول"، الصور والدلالات، وقد انتهى إلى عدة نتائج، أهمها:

١. أن هذا البحث يتصل اتصالا وثيقا بثلاثة قضايا:

٢. علاقته بالاتصال والانقطاع والوقف والابتداء. (٢) علاقته بمحل الجمل وعدمه. (٣) علاقته بنسبة الكلام لقائل دون آخر.

٣. أنّ البحث أضاف تعريفا جديدا لمعنى تذييل الجملة الواقعة في سياق جملة مقول القول، بأنه"تعقيبُ الكلام المقول وتذييله بجملة تكون كالذيل له، تفيد عموم الكلام المتقدم وتقريره وتأكيده وتعليله أحيانا، تصلح من حيث التركيب والمعنى أن تكون من مقول القول المتقدم، وأن تكون من كلام الحاكي، وتتعدد صور الوقف والابتداء على ذلك".

٤. أنّ جملة التذييل في سياق مقول القول جاءت أحيانا محتملة لأن تكون داخلة في مقول القول، والتمامُ بعدها، ولأن تكون مستأنفة ليست من مقول القول، والتمامُ قبلها.

٥. أنّ جملة التذييل احتملت في بعض التراكيب القرآنية أن تتعدد بين أن تكون من جملة مقول القول وبين أن تكون مستأنفة.

٦. أنّ جملة التذييل احتملت في بعض التراكيب القرآنية أن تتعدد بين أن تكون من جملة مقول القول وبين أن تكون في وظيفة إعرابية جديدة.

٧. أنّ الراجح أن تكون جملة التذييل من مقول الله تعالى، لمشابهة النظم القرآني ودلالات السياق عليه، فينتظم النظم القرآني كله في سلك واحد.

٨. المدرج ليس موجودا في الحديث النبوي الشريف فقط، بل يوجد المدرج في القرآن الكريم، ومنه جملة التذييل في سياق مقول القول إن كانت من مقول الحاكي(استئناف) لا من تمام مقول القول.

٩. أن القراءات القرآنية قد تتسبب في تعيين جملة التذييل للقائل أو للحاكي، فتعددت جملة التذييل تبعا لتعدد أوجه القراءة، واختلف الوقف والتمام تبعا لاختلاف القراءة في جملة التذييل.

المصادر والمراجع

١. **الإتقان في علوم القرآن**، للحافظ أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت:٩١١هـ)، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الرياض، ١٤٢٦هـ

٢. **البرهان في علوم القرآن**، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت:٧٩٤هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة

٣. **أسباب نزول القرآن**، للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت:٤٦٨هـ) تحقيق/ كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م

٤. **إعراب القرآن المنسوب للزجاج** (ت:٣١١هـ)، تحقيق/ إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة

٥. **إعراب القرآن**، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت:٣٣٨هـ)، تحقيق الدكتور/ زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م

٦. **إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل**، لأبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري (ت:٣٢٨هـ)، تحقيق محيي الدين عبد الرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م

٧. **الإيضاح في علوم البلاغة**، للإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد المعروف بالخطيب القزويني (ت:٧٣٩هـ)، تحقيق/ إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م

٨. **البحر المحيط**، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت:٧٤٥هـ)، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م
٩. **البحر المديد**، لأحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي (ت:١٢٢٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢،١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م
١٠. **البيان في روائع القرآن**، للدكتور/ تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م
١١. **البيان في غريب إعراب القرآن**، لأبي البركات بن الأنباري (ت:٥٧٧هـ)، تحقيق/ طه عبد الحميد طه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م
١٢. **تاج العروس**، للسيد محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بمرتضى الزبيدي (ت:١٢٠٥هـ)، تحقيق/ عبد الستار أحمد فراج ومصطفى حجازي وآخرون، سلسلة التراث العربي، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، مطبعة حكومة الكويت، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م
١٣. **التبيان في إعراب القرآن**، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت:٦١٦هـ)، تحقيق/ سعد كريم الفقي، دار اليقين، المنصورة، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م
١٤. **التحرير والتنوير**، للإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التنوسية، ١٩٨٤م
١٥. **تدريب الراوي**، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت:٩١١هـ)، تحقيق/ مازن بن محمد السرساوي، دار بن الجوزي، ط١، الرياض، السعودية، ١٤٣١هـ

١٦. **التسهيل لعلوم التنزيل**، للعلامة المفسر أبي القاسم محمد بن أحمد بن جُزي الكلبي (ت:٧٤١هـ)، تحقيق محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

١٧. **التعريفات**، للعلامة علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت:٨١٦هـ)، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٥م

١٨. **تفسير أبي السعود** (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، لقاضي القضاة أبي السعود بن محمد العمادي الحنفي (ت:٩٨٢هـ)، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض

١٩. **تفسير البغوي**، للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت:٥١٦هـ)، تحقيق/ محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

٢٠. **تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، لناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي (ت:٦٩١هـ)، تحقيق محمد بن عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت

٢١. **تفسير الثعالبي**، المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن، للإمام عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي المالكي (ت:٨٧٥هـ)، تحقيق الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨ـ - ١٩٩٧م

٢٢. **تفسير الرازي**، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، للإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري (ت:٦٠٤هـ)، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م

٢٣. **تفسير السراج المنير**، للشيخ الإمام محمد بن أحمد المعروف بالخطيب الشربيني (ت:٩٧٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت

٢٤. **تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم**، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت:٣٧٥هـ)، تحقيق الشيخ/ علي محمد معوض، والشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م

٢٥. **تفسير الطبري** (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت:٣١٠هـ)، تحقيق الدكتور/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م

٢٦. **تفسير النسفي** المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت:٧١٠هـ)، تحقيق يوسف علي بدوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م

٢٧. **الجامع لأحكام القرآن**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت:٧١هـ)، تحقيق/ هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م

٢٨. **حجة القراءات**، للإمام الجليل عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة (ت:٤٠٣هـ)، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م

٢٩. **الحجة للقراء السبعة**، لأبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي (ت:٣٧٧هـ)، تحقيق/ بدر الدين قهوجي، وبشير جويجالي، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١، ١٤٠٤هـ ت ١٩٨٤م

٣٠. **خزانة الأدب وغاية الأرب**، لتقي اللدين أبي بكر بن علي بن عبد الله الحموي، المعروف بابن حجة الحموي (ت:٨٣٧هـ)،. تحقيق: عصام شقيو، مكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٤م، ٢٤٢/١

٣١. **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت:٧٥٦هـ)، تحقيق الدكتور/ أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م

٣٢. **روح المعاني**، للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (ت:١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت

٣٣. **السبعة في القراءات**، لأبي بكر أحمد بن موسى العباس بن مجاهد (ت:٣٢٤هـ)، تحقيق الدكتور/ شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة

٣٤. **الصاحبي**، للإمام أبي الحسين أحمد بن فارس (٣٩٥هـ)، تحقيق/ السيد أحمد صقر، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة

٣٥. **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت:١٢٥٠هـ)، تحقيق يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، ط٤، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

٣٦. **القطع والائتناف**، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت:٣٣٨هـ)، تحقيق الدكتور/ عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، دار عالم الكتب، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

٣٧. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، للعلامة جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت:٥٣٨هـ)، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

٣٨. **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها**، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت:٤٣٧هـ)، تحقيق الدكتور/ محيي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م

٣٩. **الكشف والبيان**، المعروف بتفسير الثعلبي، لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم المعروف بالإمام الثعلبي (ت:٤٢٧هـ)، تحقيق/ الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢م

٤٠. **الكليات**، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت:١٠٩٤هـ)، تحقيق/ عدنان درويش، و محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م

٤١. **المحرر الوجيز**، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت:٥٤٦هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ . ٢٠٠١م

٤٢. **مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات**، للدكتور/ إبراهيم بن سعيد الدوسري، دار الحضارة، الرياض، ط١، ١٤٢٩هـ . ٢٠٠٨م

٤٣. **المدهش**، للإمام الحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت:٥٩٧هـ)، تحقيق الدكتور/ مروان قباني، دار الكتب العلمية، بيروت

٤٤. **مشكل إعراب القرآن**، لمكي بن أبي طالب القيسي (ت:٤٣٧هـ)، تحقيق/ ياسين محمد السواس، دار المأمون للتراث، دمشق، ط٢

٤٥. **معاني القرآن وإعرابه**، لأبي إسحاق إبراهيم بن السري المعروف بالزجاج (ت:٣١١هـ) تحقيق عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨هـ . ١٩٨٨م

٤٦. **معاني القرآن**، لأبي جعفر النحاس (ت:٣٣٨هـ)، تحقيق الشيخ محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، ط١، ١٤٠٩هـ . ١٩٨٨م

٤٧. **معاني القرآن**، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت:٢٠٧هـ)، تحقيق/ محمد علي النجار، وأحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م

٤٨. **معجم البلاغة العربية**، للدكتور/ بدوي طبانة، دار المنارة، جدة، السعودية، ط٣، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م

٤٩. **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**، للدكتور/ أحمد مطلوب، المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٣هـ. ١٨٨٣م

٥٠. **معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية وما يتعلق به**، للدكتور/ عبد العلي المسئول، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ. ٢٠٠٧م

٥١. **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، لجمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري (ت:٧٦١هـ)، تحقيق الدكتور/ عبد اللطيف محمد الخطيب، السلسلة التراثية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

٥٢. **المقصد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتدا**، لشيخ الإسلام يحيى بن زكريا الأنصاري (ت:٩٢٦هـ)، مطبوع بهامش منار الهدى في بيان الوقف والابتدا للأشموني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م

٥٣. **المكتفى في الوقف والابتدا في كتاب الله عز وجل**، للإمام المقرئ أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت:٤٤٤هـ)، تحقيق الدكتور/ يوسف عبد الرحمن المرعشلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

٥٤. **منار الهدى في بيان الوقف والابتدا**، لأحمد بن محمد بن عبد الكريم الأشموني (ت:٩٢٩هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م

٥٥. **النشر في القراءات العشر**، للإمام الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري (ت:٨٣٣هـ)، تحقيق الشيخ/ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، ببيروت، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

٥٦. **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت:٤٦٨هـ)، تحقيق/ صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٥هـ ت ١٩٩٥م

٥٧. **الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم**، للدكتور/ عبد الكريم إبراهيم عوض، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م